

# عليون ممطرة



عبد الوهاب مطاوع

دار  
أخبار اليوم

قطاع الثقافة  
والكتب والمكتبات

رئيس مجلس الإدارة :

محمد عهدي فضلي

دار أخبار اليوم  
قطاع الثقافة  
جمهورية مصر العربية  
٦ شارع الصحافة القاهرة

# عيون ممطرة

عبد الوهاب مطاوع

## هذا الكتاب

أعجبني هذا التعبير « عيون ممطرة » فاخترته عنواناً لكتاىى هذا الذى يضم مجموعة جديدة من قصص المعذبين والمهمومين بأموهم الحقيقية .

ولست أذكر أين قرأت هذا التعبير .. أو أين سمعته ، ولا هل قرأته أو سمعته من قبل بالفعل ، أم أنه قد طاف بخاطرى فجأة وأنا أعد هذه المجموعة من القصص الإنسانية الواقعية للنشر ، فرأيته معبراً عنها وملائماً لها .

إن مطر العيون هو دموعها .. وهو « مطر » رحيم يرطب الأحزان الجافة ويخفف من قسوة الآلام ، كما ترطب أمطار السماء حرارة الجو وتخفف من هجير الحياة ، والقادرون على استمطار عيونهم عند اشتداد الحزن والضيق والألم أحسن حالاً ممن تستعصى عليهم عيونهم حين يحتاجون إلى إطلاق البخار المكتوم فى صدورهم .



ولقد تنبه الشاعر العربى القديم ابن الرومى إلى هذه الحقيقة  
النفسية الحديثة نسبياً ، فقال :

لم يُخلَقُ الدمع لأمريء عبثاً

الله أدري بلوعة الحزن

فعسى أن أكون قد استطعت تجفيف بعض دمع  
المحزونين الذين أفضوا إلى بهمومهم وطلبوا مشورتى فى  
أمرهم .. وعسائى - أن تعذر على تجفيف الدمع فى بعض  
الأحيان - أن أكون قد نجحت على الأقل فى تأكيد احترامى  
لأحزان مَنْ استودعونى أسرارهم الشخصية .. ودموعهم !  
والله من وراء القصد دوماً وأبداً .

**عبد الوهاب مطاوع**

## تخطيط الأغلال

ترددت أكثر من مرة فى الكتابة إليك ، لأننى لست شاباً صغير السن يبحث عن حل لمشكلته ، وإنما أنا للأسف رجل فى قمة النضج وفى الثالثة والخمسين من عمرى .. وقد تزوجت منذ ٢٥ عاماً ، وأنجبت من زوجتى ٥ أبناء أكبرهم فى الثالثة والعشرين وأصغرهم عمره عامان ، وكنت أتمنى ألا أكون قد أنجبت من زوجتى هذه لأن أبنائى هم السبب الرئيسى فيما عانيته وتحملته منها ..

ولكى أرسم لك صورة صادقة عن زوجتى ، فإنى أقول لك إن طبعها يختلف عن طباع كل الزوجات ، وإنها لا تأخذ أى كلمة تقال لها بحسن نية أبداً ، وإنما بحساسية شديدة دائماً ، وتتفنن فى اختلاق المشكلات بغير أسباب حقيقية ، ومن الأيام الأولى لزواجنا، وقبل أن ينتهى شهر العسل كنا نتناول طعام الإفطار فى أمان، فنهضت زوجتى عن المائدة فجأة ، وبعد قليل شممت رائحة كيروسين قادمة من ناحية الحمام ، فاتجهت إليه لاستطلاع مصدرها، فإذا بى أرى زوجتى هذه وقد سكبت الكيروسين على جسمها وملابسها وتبحث عن علبة الكبريت ! وكانت أزمة كبرى تدخل فيها الأهل والوسطاء ، ومنذ ذلك اليوم خيم النكد على

حياتنا حتى أصبحت أغادر البيت والنكد يصاحبني ، وأرجع إليه لأجده في انتظاري .

وجاء الأبناء واحداً بعد الآخر .. واستقرت طبيعة الحياة بيننا على ما سارت عليه من البداية للأسف . ونجحت زوجتي في إعدام شخصيتي وإهدار كرامتي كأب أمام أبنائه .. فذات يوم دفعتني بقوة ، فسقطت على الأرض ، وتركتني أتوجع من شدة الألم أمام الأولاد .

كما طلبت مني « نزع يدي » من عملية تربية الأبناء منذ جاء أول مولود ، وفرضت هي سيطرتها على كل أفراد الأسرة ، وأصبحت صاحبة الأمر والنهي في البيت والأسرة وشئون الأبناء وكل شيء .

إلى جانب مطالبها التي لا تنتهي ولا تتناسب مع دخلي الشهري ، فإذا رفضت لها طلباً علا صوتها ليسمعه الجيران والمارة .

وإذا وجدت هي أحد إخوتها قد اشترى لنفسه أو لنفسها شيئاً فلا بد لها من أن تشتريه وترهقني بثمانه ولو لم تكن في حاجة إليه ، لأنها مصابة بداء الغيرة الشديدة من الآخرين ، كما أنها مغرمة بأن تعيرني دائماً بالآخرين ، وتحديثي عما اشترى فلان ، وعما جاء به فلان ، ومنهم التاجر الذي لا يقاس دخلي بدخله ، ورئيس مجلس الإدارة الذي يتقاضى أضعاف مرتبي كموظف عادي .

ولا أريد أن أطيل عليك بالتفاصيل المخجلة عن نمط حياتي معها وعلاقتها بي ، ولكن يكفي أن أقول لك فقط إنها حين تريد إيقاظي من النوم ، فإنها لا تهزني برفق في كتفي كما تفعل الزوجة التي



تعرف ربها .. ولا تقول لى : اصح يا حبيبى كما تفعل الزوجة المحبة .. وإنما تركلنى بقدمها وتصيح فى : قوم .. إياك ما توعى تقوم !

وإذا جاءنا ضيوف ، فإنها لا تدع لى الفرصة للجلوس معهم .. وإذا فعلت ، ولو بطريق الخطأ ، فإن الشجار والنكد سوف ينتظراننى بعد انصرافهم ، كما أنها لا تسمح لى بالذهاب إلى عملى إلا بعد استئذانها ، وإذا تصادف أن تأخرت فى العودة لأى سبب طارئ فتحت لى محضراً ، وهات يا سين وجيم ، ويزداد النكد أضعافاً مضاعفة ، فضلاً عن أنها كثيراً ما تستفزنى بأقوال من نوع : لو كنت رجلاً أخرج ولا تعد مرة أخرى ، أو لو كنت رجلاً تزوج ! وهل تظن نفسك رجلاً ؟ إلخ .. حتى أننى أقوم بغسل الأطباق والحل وتنظيف الشقة ، وغير ذلك كثير وكثير ، وقد اختتمته زوجتى أخيراً بهجرها لفراش الزوجية ، مع أنى قد تحملت ٢٥ عاماً لم أشعر خلالها بالراحة النفسية وراحة البال ، وصبرت على النكد وإهدار كرامتى وشخصيتى أمام الأبناء والأقارب والغرباء .

ولقد كان من نتائج إبعاد زوجتى لى عن شئون أبنائى أن سار الابن الأكبر فى طريق خاله .. وهو طريق معوج ، ووقع فى مشكلة قضائية كان السبب الرئيسى فيها شقيق زوجتى .. ولا غرابة فى ذلك ، فقد كنت أرى الخطأ بعينى وأسمع عنه من الآخرين ولا أستطيع أن أفعل شيئاً ، كما بدأ الابنان الثانى والثالث يسيران فى الطريق نفسه وأنا عاجز عن فعل شىء لأن أهمهم قد منعتنى من تربية أبنائى وهم صغار .

إننى أعرف أنك « ربما » تلومنى أنا فى البداية لأننى قد

أعطيتها الفرصة لكل ما فعلته طوال ٢٥ عاماً من الزواج .. لكن الأوان قد حان الآن لأن أتحرر مما أنا فيه وأشعر بنفسى كرجل مثل غيره من الرجال له شخصيته القوية وكرامته ، وحقوقه المشروعة كزوج ، فلقد ضاق صدري وفرغ صبرى على هذه الزوجة التى كثيراً ما فكرت فى التخلص منها لولا خوفى على أطفالى الصغار منها ، وأقسم لك فى النهاية أن كل كلمة ذكرتها لك عنها صحيحة ولا مبالغة فيها .. فماذا أفعل ؟

### ولكاتب هذه الرسالة أقول :

ليتك لم تشم رائحة الكيروسين قبل أن تعثر زوجتك على علبة الكبريت فى ذلك اليوم المشئوم من شهر « عسك » معها !

وأغلب الظن أنه لو كان قد حدث ذلك لما انتحرت أيضاً ، ولا أعفت الحياة من وجودها فيها ، وإنما كانت قد فقدت فقط فاعلية إحدى وسائلها المبكرة للسيطرة عليك وقهر إرادتك وإرغامك على قبول ما لا تحب لنفسك على نحو ما فعلت معك على مدى ٢٥ عاماً !

ولا عجب فى ذلك لأن مَنْ تُقدم على الانتحار حرقاً لا تبدأ بسكب الكيروسين على جسمها ثم تبدأ بعد ذلك فى البحث عن الكبريت ، لكى تصل رائحة الكيروسين الفواحة إلى مَنْ يهمه الأمر ، فيهب لإنقاذها ، وتحقق هى الهدف من المحاولة ، ويتكرس الخوف فى نفسه من مخالفة رغباتها فيما بعد لكيلا تكرر واقعة الانتحار وتكون كارثة جديدة .. ناهيك عن استخدامها فيما بعد ، للأساليب الأخرى فى الترهيب والترغيب لقهر إرادة الزوج وإذلاله !

فما هذا الذى ترويه عن نفسك وزوجتك وأبنائك يا رجل ،  
وبأى أعذار سوغت لنفسك الصبر على كل هذا الهوان .. حتى  
اختتمته زوجتك بهجرها لفراش الزوجية .. فإذا بالصبر قد  
نفد ، والصدر قد ضاق بما فيه ، وشعرت بأنه قد آن الأوان  
لأن تحطم قيودك وتتححرر مما أنت فيه !

أغلب ظنى أن هجرها المتأخر لفراش الزوجية كان الشرارة  
التي أشعلت النار فيما بقى من صبرك عليها وقضى عليه ، أما  
حكاية الحرص على مصلحة الأبناء كمبرر للصبر وقبول  
الإهانة وإهدار الكرامة على هذا النحو المؤسف ، فإنها لا تبدو  
لى فى قصتك مبرراً مقنعاً .. ذلك أن الكتاب يُقرأ من عنوانه ،  
ولقد اتاحت لك الفرص العديدة لقراءته فى شهر العسل  
والشهور الأولى من الزواج ، وخلال ما يقرب من عامين  
الذين سبقا إنجابك لأول أطفالك ، ولم تنتهز الفرصة وتنج  
بكرامتك وحياتك من هذا الشقاء .. كما كان بمقدورك أيضاً ،  
وقد خبرت شخصية زوجتك ، أن تقلل من روابطك بها حتى  
بعد إنجاب الطفل الأول أو الثانى .. أما أن تواصل الإنجاب  
منها حتى ليقل عمر أصغر الأبناء عن عامين ، فلا معنى له إلا  
أنك لم تصبر على ما لقيته منها من أجل هؤلاء الأبناء .. وإنما  
لأسباب أخرى .

وعلى أية حال ، فإنى لست فى حاجة إلى تأكيد موقفى  
وإيمانى الثابت بأن من واجب الآباء والأمهات أن يصبروا على  
شركاء الحياة حرصاً على سعادة الأبناء واستقرارهم ، لكن  
الإمام الشافعى - رضى الله عنه - يقول لنا على الناحية  
الأخرى إنه « ما من عام إلا وخصص ، حتى هذه القاعدة

نفسها !» وهو المعنى نفسه الذى رددته المحدثون فيما بعد ، حين قالوا إن لكل قاعدة استثناء .. أنت يا سيدى هذا الاستثناء من القاعدة التى أوْمَنَ بها ، ويدعونى ذلك لأن أقول لك : إن الزوجة التى تمتهن كرامة زوجها وتتلفذ بفرض سيطرتها عليه وإذلاله وإهانته أمام أبنائه والأقارب والغرباء ، ولا توقظه من نومه إلا ركلاً بالأقدام ، وتحرم عليه مجالسة ضيوفها كأنه عار شخصى لا يصح إطلاعهم عليه ، وتكف يده عن شئون أبنائه لكى تنفرد دونه بتنشئتهم على قيمها الفاسدة ، حتى ليقع أحدهم فى مشكلة قضائية بسبب سيره مع خاله فى الطريق المعوج .. مثل هذه الزوجة لا رادع لها ولا علاج سوى الانفصال عنها ولو كان زوجها قد أنجب منها عشرين طفلاً ، ولا عذر لمن يتحمل الهوان معها بدعوى مصلحة الأبناء ، لأن مصلحة الأبناء مسئولية مشتركة بين الأبوين ، وليست مسئولية أحدهما دون الآخر ، ولا يجوز لأحدهما أن يتمادى فى الضغط على الآخر على هذا النحو المذل اعتماداً على استشعاره لواجبه الأخلاقى تجاه أبنائه ، وإلا تحول الأبناء إلى سيف بثار فى يد أقل الطرفين حرصاً على مصلحتهم ورعاية لحقهم عليه .

كما أنه ليس من مصلحة مثل هؤلاء الأبناء فى النهاية أن ينشأوا فى كنف أب مقهور الإرادة ومهدر الكرامة مع أهمهم ، فتهتز قيمهم الأخلاقية ومثلهم العليا ، ويخرجوا إلى الحياة بمفاهيم فاسدة ، وحال ابنك الأكبر وأخويه خير دليل على ذلك .. فبأى مبرر إذن يمكن الاستمرار فى تجرع مثل هذا الهوان ؟

لقد فهمت من رسالتك أن زوجتك تعيش فى بيت يقيم به أهلها .. وعلى هذا الأساس، فلن تكون مأساة تربوية عظمى فى أن تتحرر أنت بالفعل من أغلالك معها وتسترد إحساسك بنفسك كرجل .

وإذا كان الأوان قد فات لأن تفعل مع زوجتك ما قام به الشاب قوى الشكيمة بتروشيرو فى مسرحية « ترويض الشرسة » لشكسبير حين استفزته شراسة الابنة المدللة كاترين، فتزوجها عامداً لكى يروضها ويهذب جموحها ويرغمها على احترام الزوج ، ونجح فى ذلك بالحيلة والذكاء وقوة الشخصية ، حتى أصبح فى النهاية يشير إلى الرجل العجوز ويقول له محيياً : يوم سعيد أيتها الأنسة الجميلة الرقيقة ! ويطلب من زوجته أن تحييها ، فتسترجع ذكريات زمجرته فى وجهها عند مخالفتها لإرادته وتسرع على الفور بتحية الأنسة وإطراء جمالها !

إذا كان الأوان قد فات على ذلك ، ولا هو المطلوب بالفعل فى العلاقة المثالية بين الزوج والزوجة ، فإن الأوان لا يفوت أبداً لكى يتوقف الإنسان فى أى مرحلة من العمر ويقرر ألا يقبل على كرامته ما لا يرضاه الحر لنفسه مهما تكن الضغوط والإغراءات . فاستجمع إرادتك وحاول محاولتك الأخيرة اليائسة لفرض شخصيتك على زوجتك كزوج كامل الحقوق والأهلية لها ، وكأب للأبناء ورب للأسرة وربان لسفينتها ، فإن لم تستجب لك ، وما أظنها ستفعل ، فأقبل تحديها لرجولتك .. وانفصل عنها .. وتحمل مسئوليتك الأبوية والتربوية عن أبنائك الصغار وهم فى حضانة أمهم إلى أن

يبلغوا سن انتهاء حضانتها لهم ، ثم استقل أنت بتربيتهم وتنشئتهم وتطهير عقولهم وشخصياتهم من المؤثرات الفاسدة التي تسلت إليهم من قبل ، ومن يدرى فلقد تكتشف في نفسك إذا اقدمت على ذلك بالفعل من القوة ما لم تكن تظنه فيها ، ولقد تكتشف زوجتك في نفسها حينذاك من الضعف والحاجة الفعلية إليك ما لم تكن هي تبديه أو تعترف به مكرراً ودهاءً وإمعاناً في قهرك والسيطرة عليك . وشكراً !



## كشف الحساب

أنا سيدة متزوجة ولدى ثلاثة أطفال ، وقد قرأت رسالة «مواقف الحياة» للأب المعذب الذى يشكو من جحود ابنته الشابة له واجترائها عليه وانحيازها لأمها غير الأمينة على زوجها ولا على أبنائها .. ويصف مدى تألمه لوقاحة ابنته ابنة السبعة عشر عاماً عليه وإنكارها له وطلبها منه أن يغرب عن وجهها ويدعها لنفسها هى وأمها وأريد أن أقص عليه وعلى ابنته قصة أسرتى لعلها تخفف عنه بعض أحزانه .. وتعيد هذه الابنة الضالة إلى رشدها قبل أن تدفع ثمن جحودها لأبيها غالياً من حياتها وسعادتها ، فلقد نشأت بين أب طيب مسالم .. وأم شرسة معتزة ببياض بشرتها وجمالها ووسطوة أسرتها ، فى بيت لا يعرف الاستقرار إلا قليلاً ، وتفتحت عيوننا وآذاننا على أمنا القوية الشرسة وهى تشتبك مع أبى فى كل مناسبة وتعيّره بسمرة بشرته وهوان أسرته بالقياس لسطوة أسرتها المعروفة بالشراسة وتنعى حظها الذى « دفن » جمالها مع هذا الرجل الأسمر « الجلف » كما كانت تدعوه أمامنا ، وهو يتحمل ويصبر ويغضب فى بعض الأحيان ويهجرها لفترة من الوقت ثم يتدخل الوسطاء بينهما فيعود . ويقول لنا بعد عودته إنه لم يرجع إلا من أجلنا لأنه

يخشى علينا من الضياع إذا تركنا لرعاية أمنا وحدها.. إلى أن بدأت أمنا تشركنا فى مصادماتها مع أبينا .. وتأمرنا فى غمرة الشجار بأن نسبه بأقذع السباب وإلا فالويل لنا إن لم نفعل ذلك، فكنا نمتثل لأوامرها خوفاً من بطشها بنا وتنطق ألسنتنا بأبشع الألفاظ والكلمات ضد أبينا ولا نتوقف ونحن صغار للأسف أمام نظرة الحسرة والألم فى وجهه ونحن نفعل ذلك ، ولا نبادره للأسف بالاعتذار بعد ذلك ، وإنما نشارك أمنا فى خصامه لفترات طويلة ولا نكاد نجيب له طلباً إلا إذا أمرتنا أمنا بذلك وهى تشجعنا على ذلك .. وتشجع شقيقنا الوحيد الذى كان يسرق من نقود أبى من حين لآخر ويعطيها ما يسرقه على أن يستمر فى ذلك وعلى عصيان أبيه ، وتحميه من الحساب .. وتحمينا كذلك من أى عقاب مع أن أبى لم يكن يعاقب أحداً منا .. وإنما كان يكتفى بلومه وبتذكيره بعقاب ربنا لمن يجحد أباه أو يسىء الأدب معه .. ويقول لنا إنه لم يقبل باستمرار الحياة مع أمنا بعد ما لقيه ويلقاه منها إلا لكيلا ينفر منا الخطأب فى المستقبل حين يجدون أمنا فى بيت رجل آخر غير أبيهم وأباهم متزوجاً من امرأة غير أمهم .. وبالرغم من ذلك ، فلم توقف إساءة شقيقاتى له .. وبلغ أبى قمة الشعور بالألم حين قرأ ذات يوم اسم شقيقتى على كراسة لها، فإذا بها تنسب نفسها بتحريض من أمنا لا إليه كما هو الطبيعى وإنما إلى خالها ذى المنصب المرموق .. فتوقف أمام الاسم المنتحل متألماً وسألها متحسراً : إلى هذا الحد تنكرين أباك وتتمسحين باسم خالك ؟

ثم غادرها دامعاً ومتألماً ..

ومضت الحياة بنا بالرغم من كل شىء وارتبطت إحدى

شقيقتى بزميل لها بالجامعة لم يرض أبى عنه فى حين خالفته  
أمى كالعادة وشجعته على الارتباط به وطالبتها بالألتأبه لموقف  
أبينا لأنها سوف تزوجهأ منه رغبأ عنه وبالفعل تحدث شقيقتى  
أباها وأعلنت له أنها سوف تتزوجه رغبأ عنه بمساعدة أهل أمى .  
وتمادت أمى فى تشجيعها على ذلك وحددت لهذا الشاب موعدأ  
لزيارتنا ليطلب يدها من أبى بالرغم من إعلانة رفضه له ، وقبل  
أن يحل هذا الموعد بأيام قليلة أصيب أبى بالشلل كمدأ وحرزأ  
وحسرة على حياته الضائعة بين جفأ زوجته وجحود أبنائه ،  
وتمت الخطبة وهو مريض حسير . وبعد فترة معاناة طويلة مع  
المرض رحل أبى عن الحياة ، ومضينا نحن فى طريقنا، فتزوجت  
البنات واحدة بعد أخرى .. وانفردت أمى بنفسها وجبروتها فى  
بيت أبى وعامأ بعد عام راحت تتوالى على الإخوة - الذين جحدوا  
أباهم وأسأءوا إليه فى حياته - المتاعب والمعاناة .. فتعثرت حياة  
أختى الكبرى التى نسبت نفسها ذات يوم إلى بنوة أمها دون  
أبيها.. وبعد سنوات من استقرار حياتها الزوجية مع رجل محترم  
إذا به يُتهم فى جريمة أخلاقية ويتورط فى فضيحة مدوية سوف  
تدفع أبنائه للخل من الانتساب لأبيهم كما خجلت أمهم ذات يوم  
من الانتساب إلى أبيها ناهيك عن جحيم المتاعب القضائية ..  
وتكاليفها وضيق ذات اليد بعدها .

وتزوجت الأخت الثانية من الشاب الذى تحدث به أبى  
وأحضرتة إلى بيته رغبأ عنه وهو مريض ومحسور ، وسافرت  
معه إلى إحدى الدول العربية ، فذاقت معه كل أنواع الشقاء ولم  
تهنأ بحياتها الزوجية معه يوماً واحداً ومات فجأة فى سن مبكرة  
وتركها بلا عائل ولا معاش ، فلم تجد فى النهاية سوى معاش

أبيها وتقدمت بطلب لإعادة صرفه لها كأرملة لا مورد لها .. وهى الآن تعتمد فى معيشتها على معاش الأب الذى تحدثه وقهرته وعجلت بمجئ المرض إليه .

أما الابن الوحيد الذى كان يسرق من أبيه ليعطى أمه ويتجراً عليه فى حمايتها ، فلقد حرمه الله سبحانه وتعالى من الاستقرار فى أى عمل ومن النجاح فى أى مشروع يقيمه ، وما من عمل يبدأه أو مشروع صغير ينفذه إلا ويسرقه فيه مَنْ يعمل معه ويخسر فيه الجلد والسقط ويرجع لنقطة البداية من جديد ، ناهيك عن تعاسته الزوجية التى صارت مضرب الأمثال مع زوجة من أسرة أمى .. ولولا خوفه على أطفاله منها لطلقها واستراح منذ زمن طويل .

ويأتى الدور للحديث عنى وقد شاركت للأسف فى التستر على أمى فى إيذائها لأبى وساعدتها أحياناً فى ذلك فأقول لك إننى سعيدة فى حياتى الزوجية الآن وأطفالى بخير كلهم والحمد لله .. لكنى خائفة حتى المرض مما سوف يحمله لى المستقبل وأشعر بالذنب لما فعلت مع أبى وبالندم الشديد عليه وأترقب عقاب السماء لى عنه وأنا واجفة القلب .. وتمضى على أحياناً بضع ليال لا أذوق فيها طعم الراحة .

وأرى فى نومى كثيراً أبى الراحل يرحمه الله جالساً تحت شجرة جرداء لا أوراق تحميه من لهيب الشمس .. مرتدياً جلباباً متسخاً للغاية وكلما هممت بالاقتراب منه نهض من مجلسه وأدار ظهره لى وابتعد عنى وهو يعرج فى مشيته بطريقة غريبة وانهض من نومى منقبضة الصدر وافسر رموز هذا الحلم بأن الشجرة الجرداء التى كان يحتمى بظلها فلا تظله بأى ظل لأنها بلا أوراق ..

هى نحن أبناء هذا الأب الطيب الصابر الذى لم نظله فى حياتنا بحبنا واحترامنا له وتعاطفنا معه .. وأن هذا الجلباب المتسخ الذى يرتديه رغماً عنه هو أمنا المفترية عليه والجاحدة لفضله .. ولا عجب فى ذلك ، فلقد طردتنا فى النهاية من بيت أبينا وحرمتنا من آخر ميراثه الذى استولى عليه أهلها ذوو السطوة والشراسة .

وكلما نظرت إلى زوجى الذى يحسن معاملتى وأحسن معاملته وإلى أطفالى الصغار الذين يضيئون حياتى بالحب والبهجة والأمل .. استسلم للخواضر السوداء وأتساءل : مَنْ أَى اتجاه يا رب سوف يجىء قصاصك العادل منى لجحودى لأبى ومشاركتى لأمى فى إيذائه " ونذهمر دموعى طويلاً وابتهل إلى الله العلى القدير أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، وأن يترفق بى فى قصاصه ، فلا يصيب أحداً من أفراد أسرتى الصغيرة سوى وأرجو أن تشاركنى أنت وقرءاء بريد الجمعة هذا الابتهاال وأن تدعو ابنة كاتبة رسالة « مواقف الحياة الجاحدة » لأبيها إلى أن تقرأ قصتى جيداً وتفيق من غيها وحمقها وترجع إلى أبيها وتطلب صفحه وعفوه قبل أن يحل بها قصاص السماء العادل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

### ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا عجب يا سيدتى فيما تروين عن إخوتك ، فلقد علمنا الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه أن كل الذنوب قد يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإنه يعجل لصاحبه ولو كانت إساءة إخوتك لأبيهم قد اقتصرت على فترة الطفولة الجاهلة أو حتى بواكير الصبا الأرعن لكان الله سبحانه وتعالى قد أعفاهم من المسئولية عنها

باعتبارهم ضحايا لأم لم ترع حدود ربها في علاقتها بزواجها وأبنائها ، لكنه من الواضح أن هذه « الجهالة » قد تخطت مرحلة الطفولة واستمرت في مرحلة التمييز بين الخطأ والصواب والحلال والحرام ، أى مرحلة التكاليف الدينية التى تطالب الأبناء برعاية حرمان الأب وطاعته وحسن مصاحبته فلا عجب إذن فى أن يعجل الله سبحانه وتعالى العقاب فى الدنيا لمن عقوقوا آباءهم وأورثوه الحسرة والمرض .. ولم يقدروا له تضحيته بسعادته الشخصية من أجلهم وخاصة أنه لا يبدو من سياق قصتك أن هؤلاء الأبناء قد استشعروا الندم على ما بدر منهم تجاه أبيهم .. أو استغفروا ربهم آناء الليل وأطراف النهار فيما جنوا على هذا الأب الصابر ، ولا قال قائلهم حين بلغ الرشد وأدرك فداحة جرمه « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون » كما سوف يقول يوم القيامة من أنكروا البعث فى ضلالتهم فى الدنيا .

غير أن ما يستحق أن يتوقف المرء أمامه طويلاً متأملاً ومستعبراً هو أن يجيء برهان ربك لكل ابن أو ابنة مذكراً إياها أو إياه بنوع جنايته على أبيه لكى تنتفى لديه كل شبهة فى أن هذا العقاب لأى سبب آخر من أسباب الدنيا سوى عقوقه لأبيه . فىكون عقاب السماء لمن طلبت لنفسها « الرفعة » بالانتساب لغير أبيها وأشعرته غفر الله لها بأنها « تخجل » من الانتساب إليه هو أن تشقى بحياتها العائلية ويتورط زوجها فى فضيحة أخلاقية قد تدفع أبناءه ذات يوم إلى الخجل من الانتساب إليه بين أقرانهم . « وما ربك بظلام للعبيد » صدق الله العظيم .



ويكون عقاب السماء لشقيقتك التي تحدث أباهما وقهرت إرادته وأورثته المرض والشلل ومضت في مشروعها للارتباط بزميلها بغير أن تأبه لمعارضته أو تبذل أى جهد لإقناعه به وطلب رضائه عنه منذرة إياه بأنها سوف تفعل ما تريد معتمدة في ذلك على أهل أمها وأنه « لا حاجة لها إليه » ولا إلى قبوله أو رضاه ، يكون عقابها هو أن تشقى في حياتها الزوجية وترجع بعد رحيل الأب محسوراً ومكلوماً إلى الاعتماد في معيشتها وتنشئة أبنائها على معاشها عن نفس هذا الأب الذى أشعرته من قبل بأنه لا ضرورة له في حياتها ولا حاجة لها به ، فكأنما قد أراد الله سبحانه وتعالى أن يرد عليها ضلالها ويؤكد لها أنها كانت وما زالت وسوف تظل في حاجة إلى هذا الأب الذى يمد الآن مظلمته لرعايتها حتى وهو بين يدي أرحم الراحمين و « قليلاً ما تشكرون » صدق الله العظيم .

ويكون عقاب الابن الوحيد الذى أدمن سرقة أبيه لصالح أمه وشاركها الاجترار عليه والإساءة له الفشل في حياته العملية ، فتحالفه الخيبة في كل مشروع يقيمه ويسرقه الآخرون في كل عمل يبدأه .. ولا يعرف السعادة في الحياة الزوجية ولا النجاح في الحياة العملية « وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون » صدق الله العظيم .

فأما هو أجسك ومخاوفك من أن يطالك عقاب السماء على مشاركتك لوالدتك في إيذاء أبيك وتستترك عليها في بعض ما ارتكبته في حقه .. ، خاصة وقد ترفقت بك السماء ، فوفقت في حياتك الخاصة حتى الآن ، فإن لها ما يبررها فيما رأيته

من برهان ربك في إخوتك حتى الآن ، غير أنه يخيل إلى أن إسهامك في هذا الأذى كان أقل إلى حد كبير من نصيب إخوتك فيه ، وأن معظمه كان إسهاماً سلبياً بالتستر على ما تفعله أمك في حق أبيك خوفاً من بطشها ، وليس إسهاماً إيجابياً في إيذائه بالفعل والقول المباشرين ، ذلك إذا ضربنا صفحاً عن جهالة الطفولة ومسئولية أمك عنها ، كما أن ترقبك للقصاص وتخوفك منه له جانب إيجابي آخر هو استشعارك للجرم الذي مضى وندمك عليه واستغفارك لربك طلباً للصفح عنه . ومن أحزان الحياة الحقيقية أن يرحل عنا من لم نستشعر الحزن الصادق عما بدر منا تجاههم إلا بعد أن غابوا عنا وتعذر علينا الاعتذار لهم وطلب صفحتهم وعفوههم عنا ، فلا يبقى لنا بعد ذلك إلا الرجاء في الله رب العالمين أن يغفر لنا ما مضى من ذنوبنا ويعصمنا فيما بقي لنا من عمرنا ويرزقنا أعمالاً زاكية يرضى بها عنا كما جاء في الأثر عن دعاء رجل غريب سمعه الصحابة ذات يوم وهم لا يعرفونه يدعو بهذا الدعاء في مسجد الرسول بالمدينة ، فرووا عنه للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فأخبرهم أنه الروح الأمين جبريل عليه السلام .

وما أفدح أخطاء الشباب الذي لا يرى كما قال عنه أعظم شعراء روسيا بوشكين « سوى قوته فتدنيه هذه القوة من الحياة وينغمس فيها ويذهله سحرها وأضواؤها فتختم في بعض الأحيان على بصيرته وتختلط عليه الأمور ويعجز عن التفرقة بين النور والظلام والخير والشر والسعادة والشقاء ».

غير أن هدى السماء لم يشأ لنا أن نحترق بلسع الندم والألم إلى ما لا نهاية ، فأرشدنا إلى أنه لا يلام المرء على أمر قد تاب عنه فاعله وصحت توبته عنه وصدق ندمه عليه ، وأرشدنا كذلك إلى أن إكرام أحد الأبوين الراحلين والاعتذار له.. إنما يكون بالدعاء الصالح له في كل حين والتصدق على روحه والحج عنه إن لم يكن قد أدى الفريضة وإكرام صاحبه وقضاء دينه .

وبذلك يكون حزن المرء على ما فاتته الاعتذار عنه لأبيه أو أمه في حياة كل منهما صادقاً وأميناً ومن ذلك النوع الذى يقول عنه الصوفية إنه من مقامات السالكين ويبعث على الانكماش فى الأعمال « السيئة » والنهوض إلى الطاعات فليكن اعتذارك لأبيك يا سيدتى بالدعاء الصالح له فى كل حين والتصدق عليه والإشادة بفضله وتنشئة أطفالك على القيم الدينية والأخلاقية التى أساءت إليكم والدتكم كثيراً حين أفسدت بعضها عليكم ، وبغرس حب الأب واحترامه واحترام ذكرى الجد الطيب الصالح فى نفوس هؤلاء الأبناء .

مع رجائي الصادق لك أن يكون سبب نقمته الآن على ما فعلت والدتك بأبيك وأشركتكم معها فيه هو الندم الصادق عليه والحزن الحقيقى على أبيك الراحل وليست فقط النقرة على ما فعلت بكم والدتكم التى لم يأتها بعد فيما يبدو برهان ربها حين طردتكم من بيت أبيكم وحرمتكم من ميراثكم عنه .

## الطريق المظلم

أنا رجل فى الخامسة والأربعين من عمرى متزوج ولى طفلان وأعمل مديراً بإحدى الشركات الكبرى فى إحدى الدول العربية ، وقد بدأت عملى فى الغربية منذ ١٥ عاماً وعشت حياة سعيدة وهادئة مع زوجتى وهى سيدة فاضلة ومحافظة وترعى الله فى علاقتها بى ولم تشهد حياتى معها أية منغصات جادة ، ولم أشك منها شيئاً سوى بعض الغيرة التى قد تتخطى أحياناً الحدود المعقولة .. لكنها فى النهاية غيرة الحب والرغبة فى الحفاظ على كيان البيت والأسرة ، ولهذا فلم أتطلع فى أى يوم من الأيام لأن أعرف امرأة غيرها لتدينى وانشغالى بعملى وأسرتى .

ومنذ ثلاث سنوات انضمت إلى شركتنا موظفة مصرية شابة فى السابعة والعشرين من عمرها استطاعت بعد فترة وجيزة من عملها أن تجذب الاهتمام إلى شخصيتها المتميزة ، فتوزع الزملاء بالنسبة لها بين معجب بها وساخط عليها ، أما بالنسبة لى فلم تكن سوى موظفة من موظفات الشركة أتعامل معها بطريقة عادية وعملية فى نفس الوقت ، غير أن الأمور مضت فيما بعد إلى اتجاه آخر ، فلقد نشأ بيننا بعد عدة شهور ما يشبه الألفة والاهتمام . وبدأت أوجه إليها النصائح فيما يتعلق بالعمل وظروف الغربية

وخاصة بعد أن نشبت الخلافات بينها وبين بعض زميلاتنا فى العمل ثم صعدت زميلاتنا هذه الخلافات إلى أصحاب الشركة وتقرر إنهاء عملها وعودتها لبلدها . ولم أتدخل أنا فى هذا الموضوع لا بالتأييد ولا بالرفض .

وقبل موعد سفرها بأيام ، فوجئت بها تطلب الحديث معى على انفراد ولم أجد مانعاً من ذلك خاصة وهى على وشك المغادرة ، وقابلتها بالفعل فى مكان عام ، فراحت تحدثنى عن أنها قد اختارتنى للحديث معى عن مشكلتها لمعرفة بمدى قربى من أصحاب العمل وثقتهم فى ، عسى أن أستطيع نقل وجهة نظرها إليهم ولكيلا ترجع إلى بلدها دون أن يسمع أحد دفاعها عن نفسها ، وكشفت لى عن حقيقة لم أكن أعرفها وهى أنها ليست آنسة كما يتصورها الجميع وإنما هى سيدة مطلقة بعد تجربة زواج مريرة ولها طفلة أخذها والدها منها وهاجر بها للخارج وحرمها منها وتزوج فى المهجر من أخرى ، فعانت الكثير بعد الطلاق من نظرة المجتمع الشرقى للمطلقة ومن المسئولية المادية إلى أن جاءتها فرصة العمل فى الغربية كحل لمشكلتها ، لكن عودتها منها بعد عدة شهور فقط سوف تثير حولها الأقاويل وسألتنى فى النهاية إذا كنت أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلها عسى أن تستطيع الاستمرار فى العمل لفترة مناسبة تجمع خلالها بعض المدخرات وتبدأ بها حياتها فى بلدها ! وتركتها دون وعد منى بشئ .. نظراً لأننى أعلم مسبقاً أن مثل هذه الوساطات تفشل دائماً مع أصحاب العمل .. وتثير ظنونهم تجاه من يتطوع بها .. وفى اليوم التالى مباشرة كنت أتحدث مع صاحب العمل، فإذا بى أجدنى أقول له دون سابق تدبير إن هذه الفتاة مظلومة

فيما نقل إليه عنها من وشايات وأنها لم تقترف ما تستحق عليه الفصل ، ومن الأفضل منحها فرصة أخرى حتى تتأكد من صلاحيتها للعمل . وكانت المفاجأة أن وافق صاحب العمل على إعطائها هذه الفرصة الأخرى وإلغاء إجراءات سفرها ، وطلبتها في مكتبها ورويت لها ما حدث، فلم تتمالك نفسها من البكاء فرحاً ، وعادت إلى عملها بالتزام شديد ونشاط أكبر واقتصر حديثها مع الزملاء على شئون العمل وحدها ، وبدأت بالفعل تكتسب ثقة الآخرين بمن فيهم أصحاب العمل أنفسهم ، ولاحظت خلال هذه الفترة كلما التقيت بها عرضاً نظرة العرفان والشكر والاهتمام في عينيها ، وبدأت أسألها من حين لآخر عن أحوالها وشئون العمل وأساعدها بالمشورة الصادقة ، وكان المفترض أن ينتهى كل شيء عند هذا الحد لكنى وجدتها بغير وعى منى تسيطر على تفكيرى وأنا الإنسان الملتزم الذى لم تكن له فى يوم من الأيام أية علاقات نسائية ، ولمست منها قبولاً لتدخل فى شئونها الخاصة ، وبدأت ألبى لها حتى الطلبات الخارجة عن نطاق العمل كشراء بعض الأشياء أو إنهاء بعض الإجراءات المطلوبة فى الغربية ، وبدأنا نلتقى خارج العمل فى الأماكن العامة وصارح كل منا الآخر بحبه وتعمقت العلاقة بيننا حتى أصبحت هى كل شيء فى حياتى ، وأصبحت أنا كذلك كل شيء فى حياتها ، فكانت لى الحب والدفء والمتعة والإحساس بالذات وكنت لها - على حد قولها - الحب والأمان والحماية والصدقة .

وبعد التورط الكامل فى هذه العلاقة كان لابد لى من وقفة مع النفس لإيقاف الانزلاق الكامل نحو الهاوية التى تؤثر على دينى ودنياى كما هو الحال دائماً فى هذا الطريق المظلم ، وخاصة أننى



كنت غير مستريح الضمير ودائم الندم بينى وبين نفسى لكنى غير قادر فى نفس الوقت على اتخاذ أى قرار نظراً لسيطرتها الكاملة على مشاعرى .

ثم اتخذت أخيراً قرار الابتعاد عنها وبدأت فى تنفيذه ونجحت فى ذلك لعدة أيام ، فاستخدمت هى كل أسلحتها الأنثوية لاسترجاعى ، بما فى ذلك الاستعطاف والإغراء وإثارة الذكريات ، وحين هددتها بضرورة الابتعاد عن طريقى هددتنى بدورها بإفشاء سر هذه العلاقة لزوجتى بما تملكه من أشياء وأدلة تثبتها ! ففكرت فى الزواج منها تكفيراً عن جريمى وحتى أستمتع بالحب معها فى المستقبل دون إحساس بالذنب ، وقلت لنفسى خلال تفكيرى فى ذلك إن ظهور هذه العلاقة إلى النور بالزواج وبالرغم مما سوف يترتب على ذلك من مشاكل وآثار سيئة على أسرتى ، لهو أفضل من الخيانة الزوجية ومواصلة الانجراف إلى طريق الخطأ والغواية ، لكن فكرة الزواج لم تلبث أن اختفت وتغلب الجانب العقلانى بداخلى على الجانب العاطفى .

ولجأت بعد ذلك إلى مخاطبة الجانب الدينى فيها وكيف أن هذه العلاقة محكوم عليها بالفشل الحتمى ذات يوم قريب أو بعيد ، واتفقنا على إنهاؤها تدريجياً وأن تحصل هى على إجازة لمدة شهرين وتسافر إلى بلدها ، فما أن ترجع حتى أسافر أنا فى إجازة مماثلة ، فيطول ابتعادنا عن بعضنا البعض أربعة شهور كاملة ، ويسهل علينا بعد ذلك إنهاء العلاقة ، وسافرت بالفعل فلم تغب أكثر من أسبوعين ورجعت العلاقة أكثر عمقاً وجراًة !

لقد دعوت الله كثيراً أن يخلصنى من هذا البلاء وسافرت لأداء العمرة خصيصاً من أجل ذلك .. وقد أصبح الحل الوحيد الباقى

أمامى الآن هو الاستقالة وإنهاء عملى فى الغربية والعودة لبلدى غير أنتى أتشكك فى جدوى هذا الحل ، فماذا أفعل وقد أصبحت الآن على شفا حفرة من الجنون والضياح وأخشى أن أقابل ربى فى أية لحظة وأنا مستمر فى هذه الجريمة الفاحشة !

### ولكاتب هذه الرسالة أقول :

مَنْ لا يقدر على نفسه .. لا يقدر على الآخرين يا صديقى ..  
ولهذا فلسوف تظل هذه « المشكلة » قائمة فى حياتك إلى أن تنجح فى الانتصار على نفسك .. والكف عن الاستمرار فى هذه العلاقة الخطيرة التى تعدك بالقلق والاضطرابات فى حياتك العائلية فضلاً عما تفسد به سلامك النفسى بالإحساس المدمر بالذنب والإثم .

ولست أعتقد أن فى الحياة كلها إغراء يستحق أن يتعذب الإنسان من أجله بمكابدة الإحساس المرير بالذنب والإثم ومعاشة الخوف من لقاء ربه وهو مكبل به ، فضلاً عن الخوف من آثار هذا الإغراء المدمر على استقرار حياته العائلية وجدارته بالاحترام والثقة من شريكة الحياة والأهل والآخرين .  
ولهذا ، فإننى أقول لك إن معركتك للتخلص من هذه العلاقة الآثمة هى فى الأساس معركة داخلية تدور رحاها فى أعماقك وحدك ، ولا أثر حقيقياً للطرف الآخر فى استمرارها أو حسمها فى الوقت الملائم ، مهما كانت مغرياته أو أسلحته أو تهديداته ،  
وحين تنتصر على « الخائن الصغير » الذى ينطوى عليه صدرك ويجذبك إلى هذه السيدة الشابة ، فلسوف تملك إرادتك معها وتنجح فى وضع حد لقصتك معها مهما أرعدت بالوعيد والتهديد .

والحق أننى لا أفهم كيف يخشى رجل امرأة يريد قطع علاقته غير المشروعة بها والعودة إلى الطريق القويم ، ولا كيف يمكن أن يخضع لتهديداتها بإفشاء سر علاقتها به ، فيتراجع عن قراره بقطعها ويرجع إلى النهل من معينها ، ذلك أن هذه التهديدات الجوفاء إذا نفذتها صاحببتها بالفعل إنما تصيب صاحببتها بالضرر بأكبر مما تصيب الطرف الآخر به اجتماعياً وعائلياً وإنسانياً ، ولا شك أن شريكك فى هذه العلاقة إذا وثقت من أنها لن تجنى ثمرة حقيقية لفضح سرها معك لزوجتك كإرغامك أدبياً أو من باب الحرج الاجتماعى على الزواج منها ، فإنها سوف تتردد ألف مرة فى إفشاء هذا السر ، اللهم إلا إذا كانت قد تملكته روح الانتقام الشريرة وتحول ما تزعمه من حب غير صادق لك إلى كراهية شعواء ورغبة عارمة فى تدميرك وهذا ما لا يحدث أبداً فى حالة الحب الحقيقى المبرأ من مثل هذه النزعات المدمرة سواء استمرت العلاقة أو انقطعت .

ولقد لفت نظرى فى وصفك لما تمثله لك هذه السيدة الشابة قولك إنها قد أصبحت بالنسبة لك الحب والدفع والمتعة .. وإثبات الذات ، ووصفها هى لك بأنك قد أصبحت بالنسبة لها الحب والأمان والحماية والصداقة !

وتوقفت أمام ما تعنيه أو ما كانت تعنيه لك فى بداية علاقتك بها من إثبات للذات ! وأحسب أنك كنت صادقاً تماماً فى هذا التعبير لأن جزءاً من اندفاعك نحوها كان يتمثل من حيث لا تدري فى هذه العبارة .. إثبات الذات .. أى الإحساس بالزهو الداخلى لجدارة المرء برفقة امرأة شابة جميلة لا يحل

له نيلها بالطريق المشروع إلا عبر خطوات عائلية طويلة وأعباء جسيمة .. ولو ناقشت الأمر مع نفسك الآن بعد فورة الاندفاع العاطفي المبدئية لوجدت أنك لست فى حاجة إلى إثبات ذاتك بمثل هذه العلاقة غير المشروعة .. ولا هو من الفخر والزهو فى شىء أن يشعر الإنسان بجدارته عن طريق التورط فى مثل هذه العلاقة الخطيرة .. لأن أى رجل عابث مهما صغر شأنه يستطيع أن يعثر على مَنْ تتورط معه فى علاقة مماثلة كما أن أى امرأة غير متحفظة تستطيع كذلك لو أرادت أن تنشئ مثل هذه العلاقة مع طرف آخر فى أى وقت ، ولا « بطولة » فى ذلك ولا فخر وإنما البطولة الحقيقية هى فى الالتزام الخلقى ومقاومة الإغراءات والاعتصام بالإخلاص والوفاء لِمَنْ ارتبطت به حياة الإنسان ..

وكما لفتت نظرى هذه العبارة التلقائية فى رسالتك ، فلقد لفت نظرى أيضاً وصفها لما تمثله أنت لها من حب وأمان وحماية وصداقة ذلك أنه وصف لا يخلو من صدق فى الحقيقة .. ولا يخلو فى نفس الوقت من شىء من الاعتبارات العملية التى لا علاقة لها بالعاطفة . فالأمان والحماية هنا ليس هما بالتأكيد الأمان والحماية العاطفيين اللذين تشعر بهما المرأة إلى جوار مَنْ تحب فى الظروف العادية ، وإنما هما أمان وحماية يرتبطان بشكل أو بآخر بأوضاع هذه السيدة الشابة فى الغربة .. وحاجتها إلى حمايتك لها فى العمل من مؤامرات الزميلات وشايتهن بها ، ومن خطر الفصل من العمل والعودة إلى بلدها .. أى حاجتها فى النهاية إليك كمدير بالشركة وشخص موثوق به من جانب أصحاب العمل لكى

تأمين الفصل المفاجيء والطرد من العمل .. فأى شىء فى ذلك يشعرك بإثبات الذات « كرجل » وإنسان يا سيدى ؟  
إن بداية علاقتها بك ترجح هذا الاحتمال إلى حد كبير ، فلقد اقتربت منك لأول مرة لكى تستشفع بك لدى أصحاب العمل لوقف قرار فصلها ، وهى بداية « مصلحة » وليست عاطفية مجردة من الحسابات العملية بأى حال من الأحوال .. ولست أريد أن أحكم على حقيقة مشاعرها تجاهك الآن إذ لا يحكم على القلوب إلا خالقها سبحانه وتعالى ، لكنى أريد أن أقول لك فقط إنه بقليل من مغالبة النفس والحزم والإرادة تستطيع إيقاف تورطك فى هذه العلاقة قبل أن تخرج آثارها السلبية المؤكدة على حياتك العائلية عن نطاق السيطرة ، فتدفع ثمناً فادحاً لعلاقة تسلم أنت فى أعماقك بأنها سوف تصل إلى نهايتها المحتومة إن آجلاً أو عاجلاً .

فإذا كان من المتاح أن تنتهى هذه العلاقة بغير أن تخلف وراءها بصمات غائرة على علاقتك بزوجتك أو بغير أن تدمر حياتك العائلية ووضعك الاجتماعى كرب أسرة ، فما وجه الحكمة فى أن تنتهى نفس هذه العلاقة بعد حين وقد خلّفت وراءها حطام أسرة صغيرة كانت سعيدة ومستقرة وآمنة قبل التورط فيها ؟

## الكلام المر

لا أعرف كيف أبدأ رسالتي هذه إليك ، ولا ماذا سيكون رد فعلها على مَنْ كتبتها من أجله .. لكنى شعرت برغبتى الشديدة فى أن أستعين بك على حل مشكلة حياتى ..

فأنا سيدة فى الثامنة والثلاثين من عمرى نشأت فى أسرة متحابّة ومتعاونة على ظروفها ، وكان أبى موظفاً بسيطاً وأمى ربة بيت لا تعمل ونحن الأبناء أربعة « ولدان وبنتان » أنا أكبرهم ، وقد نشأنا فوجدنا أبانا يكافح لتوفير متطلبات الحياة لنا بمشقة بالغة وأمى تساعدنا بكل ما تملك من قدرة وموهبة على تدبير شئون البيت ، وألفنا أن نعرف شيئاً من يسر الحياة فى أوائل الشهر وأن نتحمل جفافها فى بقية أيامه ، كما اعتدنا أيضاً أن نشترى بالأجل بعض الضروريات من المحل التجارى الذى يتعامل معه أبى منذ سنوات طويلة ، وتربطه بصاحبه صداقة قديمة ، وكان هذا الرجل كما عرفت وأنا ما زلت بعد طفلة صغيرة .. هو ملجأ أبى الأخير إذا استحكمت الأزمة ، فيقترض منه بضعة جنيهات إلى أن يأتى الفرج .. وتقدمنا فى مراحل التعليم ، وحققنا جميعاً تفوقاً دراسياً بغير الحاجة إلى الدروس الخصوصية ، وحين تفتحت مشاعرى للحياة اتجهت تلقائياً إلى الابن الأصغر



لصاحب المحل التجارى .. فلقد لفت نظرى بوسامته وأدبه الجم وخجله .. وتمنيته لنفسى .. وانتظرت أن يتقدم أى خطوة فى طريق الاقتراب منى، فلم يفعل .. فازددت اهتماماً به ، وتشجيعاً له على البوح لى بمشاعره ، إلى أن صارحنى بها بعد صبر طويل وصارحته بحبى له ، وفهمت منه أن أحد أسباب تردده فى مصارحتى بمشاعره هو أننى أدرس بكلية مرموقة .. وهو قد تعثر فى دراسته ولم يكمل تعليمه العالى .. فتعجبت لأن يكون ذلك سبباً لعدم ترحيبه بى فى البداية ، وظننت لبعض الوقت أنه لا يرانى مناسبة له من الناحية الاجتماعية ، لأن أحواله المادية أفضل بكثير من أحوالنا ، وأشقاءه كلهم يشغلون مركز عالية ويقيمون جميعاً فى بيت يملكه الأب فى نفس الحى الذى نقيم فيه، ولم أخف عليه هذا الظن . وارتبك كثيراً وأحمر وجهه ، وهو شديد الخجل والحياء بطبعه ، وأقسم لى أنه لم يفكر فى ذلك لحظة واحدة ، وارتحت لما قال .. وواصلت دراستى فى اطمئنان .. وفى إجازة الصيف تقدم لخطبتى بعد صراع قصير مع أشقائه الذين رفضوا ارتباطه بفتاة من أسرة بسيطة مثلى ، فى حين لم يعارض والده رغبته ربما إشفاقاً عليه من سوء حظه فى التعليم ، وهو الوحيد الذى يساعده فى العمل ، وربما إكراماً لصداقته القديمة لأبى .

ومن اللحظة التى أعلنت فيها خطبتى صارحنى خطيبى فى حياء برغبته فى أن يخصص لى مصروفاً شهرياً من جيبه لأستعين به على دراستى والحفاظ على مظهرى ، ولم أجد مانعاً فى ذلك ، فأنا فى حاجة شديدة لمثل هذا المصروف ، وبدأ بالفعل يعطينه لى ، وبدأت أعتمد عليه فى حياتى ، بل إننى فى بعض

الأحيان كنت أساعد بجزء منه أُمى سرًا .  
وتخرجت متفوقة وأتاح لى تفوقى الحصول على عمل ممتاز ..  
وبدأت الاعتماد على نفسى .. وبعد عامين من تخرجى تم زواجنا  
وتكفل خطيبى بمعظم تكاليفه .. وأقمت فى شقة صغيرة بالبيت  
الذى تملكه أسرة زوجى فى المطرية وقيم فيه كل أبنائها .  
وتخرج أخوتى جميعاً وعملوا وتزوجت شقيقتى وأخى الذى  
يليه ، وأحيل أبى للمعاش .. وحصلت أنا على الماجستير ، وبدأت  
أعد للدكتوراه وأتيحت لى فرصة السفر إلى أوروبا لإعداد المادة  
العلمية للرسالة .. فلم يرفض زوجى سفرى ، ولم يقف فى  
طريقى بالرغم من أننى كنت قد أنجبت طفلة وطفلاً ، بل  
وساعدنى ببعض المال على إنهاء مهمتى ، واستغرقت بعثتى  
بضعة أشهر ورجعت وحصلت على الدكتوراه وسعد زوجى  
بحصولى عليها كثيراً .. وأتاحت الدرجة العلمية فرصة الانتداب  
إلى عمل جديد بمرتب مغر فى هيئة دولية . وخلال هذه السنوات  
كان والد زوجى قد توفى ، واستقل زوجى بإدارة تجارته نيابة  
عن إخوته ، وبدأ زوجى يشكو لى من حين لآخر من تعنت بعض  
الإخوة معه وكثرة مطالبتهم له بالمال بصفة شهرية دون مراعاة  
لالتزاماته وديون التجارة .. ورحت أشجعه على الصمود وتخطى  
الصعاب ، لكن الأمور صارت فى الاتجاه العكسى وساءت أحوال  
التجارة أكثر وأكثر ، وتراكمت الديون ، وساءت علاقة زوجى  
وإخوته حتى اتهمه أحدهم صراحة بالسرقة ، مع أن الله سبحانه  
وتعالى يعلم أنه طاهر اليد ، وكان يعانى ضائقة شديدة وتوقفت  
عن أخذ أى مصروف للبيت والأبناء منه ، وأعتمدت على مرتبى  
فى الإنفاق على الأسرة .. لكى يحاول إنقاذ التجارة من الانهيار ..

ومرت به وبى فترات عصيبة .. وازدادت العلاقة بين زوجى وبعض إخوته تدهوراً حتى هدده أحدهم باللجوء للقضاء ، فانهار زوجى باكياً وطلب منه أن يتسلم منه التجارة ليديرها هو أو مَنْ يراه ويعطيه أى مصروف شهري يقدره له .

وتم ذلك بالفعل وأصبح زوجى ينهض من نومه صباحاً ، فلا يجد ما يفعله سوى توصيل الطفلين للمدرسة وإعادتهما منها .. فى حين أذهب أنا إلى عملى فى السابعة صباحاً ، ويستغرقنى حتى الخامسة مساءً .

أما مصروفه الشهري ، فلم يكن يكفى نفقات البيت لأكثر من أسبوع ، وأتحمل أنا بقية النفقات . وشيئاً بشيئاً لاحظت أن زوجى يزداد صمتاً وانطواءً واستغراقاً فى ذاته .. فتصورت أن بطلته هى السبب الأساسى لحالته هذه ، وجلست معه ذات مساء وناقشته فى أحواله .. وألححت عليه بضرورة أن يمارس أى عمل .. فسألنى وأين هو العمل الذى أمارسه .. وأنا لا رأس مال لدى .. ولا شهادة ؟ فبكيت إشفاقاً عليه وأنا أعلم جيداً ما يدور فى نفسه وما يستشعره من حرج كرجل من قيامى عنه بمعظم مسئولية البيت .. وعرضت عليه أن أسعى لإلحاقه بعمل فى الهيئة التى أعمل بها وسعيت بالفعل لدى مديرى فى ذلك .. فقال لى إن العمل الوحيد المتاح حالياً هو عمل سائق بعقد مؤقت على إحدى سيارات الهيئة .. وترددت فى عرضه عليه لكن ازدياد قلقي عليه من بطالته دفعنى لأن أعرض عليه هذا العمل ، فقبله بعد تردد ، وأصبح يعمل معى فى الهيئة نفسها .. وتفاقت مشاكل التجارة حتى انقطع عن زوجى مصروفه وأعتبره شقيقه الذى تولاها مديناً لها وليس مستحقاً فى أى عائد منها .

ولا أدري ماذا حدث بعد ذلك فى علاقتى به .. فلقد وجدت زوجى يتحفظ تدريجياً فى تعامله معى ، ويتعد عنى ، ويصبح شديد الحساسية تجاهى ، فإذا تلاحينا فى أى أمر من أمور الحياة الزوجية المعتادة بين كل زوجين أجده شديد الاكتئاب والحزن بعدها لفترة طويلة .

ثم حدث ذات مرة أن تشاجرنا لسبب عارض .. فإذا بى أجدنى ولأول مرة فى حياتى معه أفقد أعصابى ويفلت لسانى ببضع كلمات جارحة له ولرجولته . وأشير إلى تحملى للعبء الأكبر من المسئولية المادية عن الأسرة وإلى كسله وقلة طموحه .. و« خيبته » وغير ذلك مما أشعر بالخجل منه كلما تذكرته .. فإذا بزواجى ينفجر فى بدوره ولأول مرة أيضاً ويقول لى إنه قد صبر طويلاً على سوء معاملتى له ، وإشعارى له بالعجز كرجل و « بامتيازى » عليه بالشهادة والمنصب والمرتب الكبير من الهيئة وأننى أعيره بظروفه وسوء حظه مع أنه لم يعيرنى من قبل بظروفى السابقة حين كنت فتاة بسيطة وكان هو الشاب القادر مالياً وابن الأسرة الكبيرة وأنه يرى أن المشكلة ليست فى ظروفه وحدها لكنها فى تغير مشاعرى نحوه وإحساسى بأننى أصبحت أشعر بعد تحسن ظروفى بأننى أستحق زوجاً أفضل منه يتناسب مع شهادتى ووضعى ووظيفتى .. إلخ .

ولا أدري أين كان عقلى حين استجبت لهذا الاستفزاز ، فإذا بى أجيبه بأن كل ما قال صحيح .. وإننى أستحق مَنْ هو أفضل منه بالفعل بعد أن صبرت على ظروفه كثيراً ، ورأيت أنه قد استنام للوضع الحالى بلا أى أمل فى التقدم .. وأفقت من اندفاعى حين وجدته ينظر إلى زاهلاً ومتألماً ثم يقول لى بصوت خافت :

عندك حق فى كل ما تقولين « يا دكتورة » .. ولن أقف فى طريقك بعد الآن .. أنت طالق ! ثم غادر الشقة وأنا مازلت ذاهلة ..

وتصورت أنه سوف يبيت ليلته فى شقة والدته فى نفس البيت ويرجع فى الصباح ويردنى .. فإذا الأيام تمضى بعد ذلك ولا أثر له .. وبعد أسبوعين تنازلت عن كبريائى وصعدت إلى شقة والدته لأبحث عنه وأعتذر له أمامها وأقبل رأسه وأطلب منه الصفح عني .. فقابلتنى والدته بجفاء وانهاالت على لوماً وتقريعاً وتذكيراً لى بما كان من حالى وحال أسرتى قبل زه اجى من ابنها ، وبما فعله زوجى معى .. إلخ ، وتحملت كل ذلك صابرة وبكيت أمامها وأعتذرت وقلت لها إننى شعرت بخطئى من اللحظة الأولى وإننى نادمة عليه ، وأعرف أننى لا أستحق ظفر زوجى لأنه إنسان طيب وحنون ومهذب وكريم ولم يخطئ فى حقى ابداً ، وأننى أريدها أن تتوسط لديه وتحثه على أن يصفح عني ويردنى إلى عصمته ليس فقط من أجل الطفلين وإنما من أجلى أنا أيضاً لأننى أحتاج إليه .. ولا أستطيع الاستغناء عنه .. فرق قلب والدته لى لأول مرة منذ بدأ الحديث وشاركتنى البكاء ، ثم قالت لى فى النهاية : ولكن أين هو لكى أقول له كل ذلك !

وعرفت منها أنه قد طلب منها مساعدته على السفل للعمل فى إحدى الدول الأوروبية مع أصدقاء له سبقوه إلى هناك ، وأنها باعت شهادة إيدار وأعطته ثمن التذكرة ومبلغاً لمواجهة نفقات الحياة ، وأنه قال لها إنه سيكافح لكى يصنع نجاحه فى الغرب . ولن يرجع إلا إذا استقرت أحواله ، وطلب منها استمرارى فى المسكن إرعاية الطفلين إلى أن يبلغا سن حضانته لهما .

وانهزت حين علمت منها ذلك وبكيت طويلاً وتساءلت : ماذا

فعلت بنفسى وحياتى فى لحظة من الحمق والجنون ؟  
لقد أحببت زوجى هذا وأنا فى السابعة عشرة من عمري ،  
وما زلت أحبه ولا أنسى له أفضاله على ، لكنها ضغوط الحياة  
القاسية التى أوقعتنى فى الخطأ وأفقدتنى والد طفلى .  
فماذا أفعل يا ربى لكى أسترد زوجى ؟

لقد انتظرت أن يرق قلبه لى ويتصل بى عدة أسابيع دون  
جدوى ورجوت والدته أن تلح عليه حين يتصل بها تليفونياً فى أن  
يردنى إلى عصمته بكلمة واحدة .. ولسوف أظل فى انتظاره إلى  
أن يرجع مهما طال الانتظار .. لكنه لم يتصل طوال فترة العدة  
التى يستطيع مراجعتى خلالها .. وسألتنى والدته إذا كنت أريد أن  
يرسل توكيلاً لشقيقه لكى يطلقنى به إذا اتصل بها من الخارج ،  
فبكيت وصرخت بأننى لا أريد ورقة الطلاق ولا أريد إلا أن يردنى  
زوجى إلى عصمته ويغفر لى « قلة أدبى » وطول لسانى ..

وهأنا إلجأ إليك الآن لكى تعيننى على تحقيق هذا الأمل ، فلقد  
مضت عشرة شهور على سفر زوجى ..ون أن يتصل بى مرة  
واحدة .. ولست أعرف وسيلة للاتصال به لأنه يتكلم مع والدته  
من التليفونات العامة وقد علمت أنه يعمل « نقاشاً » باليومية مع  
أصدقائه ويقيم مع ٧ أفراد فى شقة ضيقة من غرفتين ، ولا يكاد  
دخله يكفى نفقات حياته فضلاً عن أنه يعيش فى خوف دائم من  
أن ترحله الشرطة إلى بلده فى أى وقت لأنه دخل هذه الدولة  
بتأشيرة سياحية وانتهت وليس من حقه العمل فيها دون  
تصريح .. فلماذا يتحمل هذا العناء .. وله فى مصر بيت وزوجة  
نادمة وطفلان يسألان عنه كل يوم ، وأسرّة ، وأم وإخوة ؟

أننى أرجوك أن تناشده العودة إلى ودى إلى عصمته لأننى

فى حاجة شديدة إليه وطفلاه يفتقدانه بشدة وهو الأب العطوف  
الحنون . وأرجوك أن تقول له على لسانى إننى بدونه لا أساوى  
شيئاً .. ومستعدة للاستقالة من عملى فى اليوم الذى يرى فيه أنه  
هو قد أصبح يكسب دخلاً يكفى لمطالب الأسرة والأبناء ، فقط  
أريده أن يرجع إلى وإلى طفليه وأمه التى تفتقده وشقيقته الكبرى  
التي مازالت تخاصمنى وتعتبرنى المسئولة عن « تطفيشه » ألتمس  
لها العذر فى ذلك .. فهل يرجع ويستجيب ويصفح يا سيدى ؟

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

أرجو ذلك من كل قلبى يا سيدتى .. فألحق أننى استشعر  
صدق ندمك على ما بدر منك تجاهه وصدق مودتك له ورغبتك  
فى استعادته لنفسك وطفليك والحفاظ على كيان أسرتك  
الصغيرة معه . وهذا وحده يكفى لأن يشفع لك لدى زوجك  
« السابق » فى أن يغفر لك جرحك لكرامته كرجل ويواصل  
رحلته معك .

غير أننى أشعر بأنك قد استدرجت بغير وعى منك خلال  
الفترة العصبية السابقة فى حياتكما إلى التعامل معه على  
نحو أشعره بتراجع أهميته بالنسبة إليك كزوج ورب للأسرة  
وأب للأبناء ، وأقول لك إنك قد « استدرجت » لأن هذا التطور  
الخطير فى علاقة الزوجة بزوجها يبدأ غالباً على نحو  
تدرجى ويضطرر دون أن تلتفت فى البداية لخطورته على  
علاقتها به إلى أن ينفجر الموقف بينهما فجأة كما تسرى النار  
حتى الرماد ثم نفاجأ بها وقد اشتعلت دون سابق إنذار .

ولقد أشرت فى رسالتك إلى أنه قد بدأ يتحفظ معك ويبتعد  
عنك ويصبح شديد الحساسية تجاهك ويستسلم للحزن



والاكتئاب لفترات طويلة عقب كل ملاحاة بينه وبينك ، دون أن تنتبهي إلى أنه قد بدأ يشعر بالنقص تجاهك ، وبالعجز كرجل عن أن يكون عائل الأسرة الرئيسي .. فيدفعك هذا التنبيه في الوقت المناسب إلى تفادي كل ما يشعره بعدم الجدارة كرجل في علاقتك به أو يدفعك ذلك إلى التفكير جدياً في إعانته على أمره وحثه على ممارسة أى عمل مناسب له أو تشجيعه على القيام بأى مشروع صغير ولو في بيته ومساعدته على ذلك ببعض مدخراتك .

فكان أن واصلت النار سريرانها حتى الرماد حتى جاءت لحظة الانفجار ، وبدلاً من أن تحترسى من الاقتراب من « الدائرة الحمراء » التي لا تسامح لدى زوجك مع من يقترب منها وهي دائرة إحساسه بالعجز وعدم الجدارة وتميزك عليه، إذا بك تنفذين إلى قلب هذه الدائرة مباشرة وتعيرينه بظروفه وانعدام طموحه وكسله « وخيبته » ، فإذا انفجر فيك لأول مرة واتهمك بالإحساس بعدم جدارته بك كزوج لك ، لا تستشعرين خطورة الموقف ولا أنه قد تجاوز دائرة الخلاف العارض بين أى زوجين إلى ما هو أبعد من ذلك مدى ، وإنما تستجيبين للأسف لإغراء التصعيد والحماسة وتؤيدين ولو كلامياً إتهامه لك بأنك تتطلعين إلى زوج أفضل منه !

ولو أنك قد أدركت عمق الجرح الذى صنعتة هذه الكلمات المرة في أعماق زوجك لترددت ألف مرة قبل النطق بها .  
ومن الكلام المر ما يمكن أن يكون لعنة على قائله قبل أن يكون كذلك على من يوجه إليه .

فلقد أشعرت زوجك من غير وعى بأن مَنْ كان « الأرقى » مادياً وعائلياً واجتماعياً فى الزمن القريب قد أصبح الآن « الأدنى » والأسفل حتى ليشعر بعدم جدارته بك وبرغبته فى أن يعفيك من قيد الوفاء له لكى تنالى من الحياة ما هو أفضل من استمرار الارتباط به .

ولا شك أن كلاً منكما مخطيء فى ظنه بالآخر .. وفى ظنه بنفسه كذلك ! فلا أنت يا سيدتى رغم قلة احتراسك فى التعامل معه بعد تغير أحواله تشعرين بالفعل بعدم جدارته بك ولا بحاجتك إلى مَنْ هو أفضل منه .

ولا هو كما يعتقد كان يفسح الطريق أمامك لكى تنالى هذا الأفضل حين ألقى عليك يمين الطلاق واختفى من حياتك وحياة طفليه الصغيرين .. وكلاكما فيما أتصور أكثر احتياجاً إلى الآخر مما يظنه شريك حياته فيه .. لكنه مرة أخرى الحمق والاندفاع والكلام المر الطائش الذى يندفع من فم قائله فيزلزل الحصون المنيعه ويخلق زهور الحب فوق أغصانها .

فلقد تصور زوجك بسبب هذا التراشق الأحمق بينكما وما سبقه من تغيرات فات عليك تقدير خطورتها فى حينها أن دوره فى حياتك قد انتهى بعد أن كان « أملاً » بعيد المنال لك فى ظروفك السابقة .. وبعد أن ساعدك على أمرك ودراساتك العليا وارتقيت أنت فى السلم الاجتماعى خطوات موفقة فى حين قلبت له هو الدنيا ظهر المجن ونزل بضع درجات فى الاتجاه العكسى .. فتوهم خطأ أنك ممن يتعاملون مع الآخرين بمنطق السلطان سليم فى التعامل مع سلطان الممالك طومان

باى .. وما أكثرهم فى الحياة للأسف .

فلقد هزمت جيوش سليم جيش طومان وجيء به إليه مغلولاً ، فأمر بحل قيوده وتحركت له عواطفه كما قال ابن اياس فى تاريخه ، وأذن له بشهود الاجتماعات التى يعقدها للتداول فى أمر البلاد التى فتحها وكان يسأله فى مسائل كثيرة عن أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية ويستفيد بخبرته بها وظل على هذا الحال عشرة أيام ، وفى اليوم العاشر رأى سليم الأول أنه لم يعد فى حاجة إلى مشورة طومان باى ، فأمر بشنقه وتعليق جثته على باب زويلة !

وهكذا قد يفعل بعض البشر أحياناً بمن يكونون فى حاجة إليهم فى بعض مراحل حياتهم ، فإذا تغيرت أحوالهم إلى الأفضل وانتفت الحاجة إلى مَنْ كانوا فى حاجة إليهم أمروا « بشنقهم » معنوياً واستغنوا عنهم ! لكنى لم أشعر خلال قراءتى لرسالتك بأنك واحدة من هؤلاء البشر ..

ومن واجب زوجك بالفعل تجاه نفسه وتجاه طفليه وتجاهك أن يعيد النظر فى موقفه منك وفى غربته غير المجدية كثيراً هذه فى ظل ما أعرفه عن ظروف العمل فى هذه الدولة الأجنبية .. فالحق أنك فى حاجة إليه بأكثر مما يتصور هو نفسه ناهيك عن حاجة طفليه إليه .. فليرجع إذن ولو بعد وقت مناسب إذا أراد جمع أى مدخرات محدودة تسمح له ببدء أى عمل صغير فى بلده وليعدك إلى عصمته توثيقاً لروابطكما الأبدية معاً .. وليؤمن دائماً بأنه بفضائله الأخلاقية وحسن عشرته لمن يشاركهم حياته وحسن رعايته لأطفاله .. إنما

يؤدي دوراً مهماً في الحياة مهما كان وضعه المادي والاجتماعي فيها ويفضل كثيرين ممن أتاحت لهم الحياة بعض ما لم تتحه له حتى الآن .. وإذا رغب في أن يتحدث معي حول هذا الأمر لوقت أطول ، فليتفضل بالاتصال مساء السبت بعد القادم بإذن الله أو فليكتب لي برقم تليفون أستطيع الاتصال به خلاله وشكراً له ولك .

## دوائر الدوامة !

أرجو أن يتسع صدرك لمشكنتى لأنى فى أشد الحاجة إلى مشورتك ، فأنا شاب فى الثلاثين من عمري أعمل بالتعليم ، ومن أسرة طيبة ، ومنذ أربع سنوات أعجبت بفتاة كانت تتلقى منى درسا خاصا وهى فى السنة الأولى بكليتها الجامعية ووجدت فيها كل المواصفات التى أتمناها فى شريكة حياتى ، فتحدثت إليها برغبتى فى الارتباط بها ووجدتها قد سبقتنى إلى الإعجاب بشخصى وتتمنى الارتباط بى ، غير أنه كانت هناك مشكلة هى أن والدها يرفض أن ترتبط بأحد قبل أن تنهى دراستها وتتخرج مع وعد منه لها بأن يزوجها ممن تختاره لنفسها إذا التزمت بشرطه . وأكدت لها استعدادى لانتظارها أربع سنوات حتى تتخرج ويتحقق شرط والدها وتعاهدنا على ذلك ثم سافرت بعد بضعة شهور للعمل بإحدى الدول العربية وظللت على عهدى لفتاتى ، وترقبت مرور الشهور والسنين لكى أتقدم إليها . حين بلغت هى السنة الثالثة الجامعية فاتحت والدها برغبتى ، فرحب بى أشد الترحيب وطلب منى الانتظار للعام المقبل حتى تتخرج ووعدنى بأن تكون ابنته لى وليس لأحد غيرى ، وأطمأنت إلى وعده وسافرت إلى عملى وتواصلت الرسائل بينى وبينها ، ورجعت فى إجازة العام التالى .. وتحدثت إلى عم فتاتى برغبتى فى تحديد

موعد مع شقيقه لأتقدم إليه مع أسرتي طالباً يد ابنته ، ووعدنى العم خيراً .. وبعد ساعات رجع إلى بالرد ، فإذا به الرفض القاطع الباتر بلا أسباب ولا مبررات ، وأصابنى الذهول ودهش معى أهلى الذين كانوا قد عرفوا فتاتى خلال السنين الماضية وأحبوها وتعلقوا بها وكانت تقوم بزيارتهم خلال سفرى ، وحررت فيما أفعل إزاء هذه المفاجأة غير السارة ، وحاولت أن أعرف سبب الرفض، فعرفت أن والد الفتاة قد اتفق مع أحد أقاربه على تزويجها له وأنها فى حالة نفسية سيئة لكنها لا تستطيع إقناع أبيها بالوفاء بوعده أياها ألا ترتبط إلا بمن تختاره ، ولم استسلم لليأس من تغيير موقفه ووسطت لديه كل من آنست منه استعداداً للتدخل فى الموضوع ، فأصر على رأيه إصراراً غريباً ، وحاولت الفتاة معه بكل ما أوتيت من جهد ، فكان رده على كل محاولة من جانبها إقناعه بقبولى هو الضرب المبرح واشتد ضيقى وكربى إلى أن جاء يوم وقالت لى فتاتى إنه لا فائدة من المحاولة مع أبيها لأنه عنيف للغاية وعنيد ويريد على حد تعبيرها أن « يبيعها » لمن يستطيع أن يدفع أكثر ونصحتنى النصيحة اليائسة بألا أضيع ما بقى من إجازتى فى محاولة نطح الصخر الذى لا يلين ، وأن أرتبط بفتاة غيرها . وفى فترة ضيق بكل شىء سلمت باليأس من فتاتى ، وحاولت شغل فكرى عنها بالارتباط بغيرها .. وبالفعل تقدمت إلى صديقة لها لا تعرف عن قصتنا شيئاً سوى أننى تقدمت لطلب يدها ورفض والدها طلبى . ورحب بى والد الصديقة لكنه أصر على ألا تكون هناك فترة خطبة وأن أعقد القران على الفور ولم أجد مانعاً من تلبية رغبته ، فتمت الخطبة وعقد القران خلال أسبوع واحد ، وانتظرت أن تشغلنى هذه الخطوة عن فتاتى السابقة واستريح من التفكير فيها ، فلم يتحقق ذلك وظللت مشغول الفكر بها بالرغم من عقد قرانى على خطيبتى وخطبة

فتأتى إلى قريبتها وازدادت فترات صمتى وانشغال فكرى وأنا مع خطيبتى ، فلم أجد مفراً من مصارحتها بما أعانيه ووجدت لديها صدراً رحباً لهماومى وحاولت التخفيف عنى بقدر الإمكان ، بل وحاولت أيضاً أن تكون واقعية وأن تساعدنى على تقبل الحقائق، فأبلغتنى بأن فتأتى السابقة مريضة وأنها لن تغضب إذا اتصلت بها للاطمئنان عليها وتوديعها قبل سفرى إلى عملى ، واتصلت بفتأتى السابقة بالفعل ووجدتها فى حالة سيئة ، فضغفت إرادتى واعترفت لها بأننى ما زلت أحبها ولا أستطيع نسيانها والبعد عنها.. فقالت لى بصوت حزين إنه قد فات أوان هذا الحديث وأنه على كل منا أن يتقبل أقداره ، ويكفيها أنها لم ترفضنى بإرادتها ولم تقبل خطيبها الذى لم تشعر معه بالانسجام حتى الآن برغبتها . وسافرت مضطرباً ومهموماً .. وبعد سفرى بفترة قصيرة رحل والد فتأتى الأولى عن الحياة ، وطلبت منى خطيبتى فى اتصال تليفونى بيننا أن أواسيها فى فقد، فتعجبت لتصاريف القدر .. وازداد شعورى بالندم على تسرعى فى عقد قرانى على فتاة أخرى سواها .. وأصبح شاغلى الأكبر منذ ذلك الحين هو كيف أستطيع حل مشكلتى بغير أن أظلم خطيبتى التى احتوت انشغال فكرى بغيرها .. ولا ترفض أن تكون زوجة ثانية إذا كان ذلك سوف يسعدنى ويحقق راحتى، فماذا أفعل يا سيدى وكيف أخرج من دوائر هذه الدوامة التى تدور بى بعنف منذ علمت بوفاة والد فتأتى الأولى ؟

### ولكاتب هذه الرسالة أقول :

إذا كنت فى رد سابق قد أدنت الاختيار العاطفى لزوج عاشر زوجته ٢٢ عاماً، فلم ينكر عليها شيئاً وزوجة عاشرت زوجها ربع قرن من الزمان بلا مشاكل جدية ، فما أن التقى كل منهما بالآخر بعد غيبة السنين حتى تجدد الحب القديم الذى

سبق زواج كل منهما .. وهجر الرجل زوجته وأبناءه الشباب الذين يرون فيه مثلهم الأعلى وهجرت المرأة زوجها وأبناءها الثلاثة الذين يرون فيها رمز الأم والعطاء وارتبط كل منهما بالآخر بالزواج وراحا ينهلان من نبع السعادة الأنانية على حساب عدد كبير من الضحايا ، إذا كنت قد أدنت هذا الاختيار لكثرة مَنْ تساقطوا على جانبي الطريق إليه من الضحايا الأبرياء الذين لا ذنب لهم ولا جريرة في أن الحياة كانت قبل ربع قرن من الزمان قد حالت بين طرفي القصة وبين اجتماع شملهم قبل زواج كل منهما من آخر وإنجابه ، فإنني لا أستطيع أن أدین اختياريك العاطفي هذه المرة إذا اخترت تصحيح خطأ مازال في الإمكان تصحيحه بغير أن يدفع ثمن تداركه ضحايا كثيرون من الأبناء وشركاء الحياة . فأنت يا صديقي لم تُبن بعد بخطيبتك الحالية حتى لو كنت قد عقدت قرانك عليها ، وفتاتك كذلك لم تتزوج ممن أرغمها والدها على الارتباط به ولم تتأبد روابطها معه بالإنجاب حتى الآن ومن صالح كل الأطراف في هذه القصة ألا تتفاقم الأخطاء ويصبح لها ضحايا حائرون في المدى القريب كما أنه ليس من الحكمة تعذيب النفس والغير بأن ترتبط بمنْ ينشغل عنها فكرك وقلبك بغيرها ولا هو من صالح خطيب فتاتك الأولى أن تواصل طريق الارتباط به وقلبها يهفو إلى غيره ويرجوه ، فكل بناء يقام على غير أساس متين يتعرض للانهار عند أول عاصفة ، ولا داعي لتكرار الأخطاء البشرية .. وامتحان النفس والغير بمحنة معاشة الإنسان لمن لا يحبه ، فإذا التقى ذات يوم بعيد أو قريب بمن حالت دونه الحياة تجدد الشوق القديم واضطربت الحياة العائلية .. وصدق عليه قول الشاعر :



ذو الشوق القديم وإن تسلى مشوق حين يلقي العاشقينا  
 وإذا كان في مقدور المرء أن يحيا الحياة الطبيعية مع مَنْ  
 يحب ويقصر عليه طرفه وحبه وفكره ويفرغ قلبه ممن عداه،  
 فما معنى أن يعذب المرء النفس والغير بالارتباط بهم ومكابدة  
 العيش معهم على غير رغبة حقيقية منه .. وفي ذلك ما فيه  
 من الظلم لهؤلاء الغير قبل أن يكون للنفس ذاتها ؟  
 إننى لا أنصحك أبداً بقبول « توضحية » خطيبتك لك  
 باستمرارها في حياتك مع ارتباطك بفتاتك الأولى إذا كانت في  
 ذلك سعادتك .. فالحق أننى لم أفهم هذه « الواقعية » التى  
 تتحدث عنها حين تروى عن خطيبتك أنها تحثك على الاتصال  
 بفتاتك وتقبل بأن تكون زوجة ثانية لك معها ، ولا أرى فيها  
 أية واقعية حقيقية ، وإنما أرى فيها انكساراً إنسانياً لا يليق  
 بك أن ترضاه لها وأرى فيها عجزاً من جانبها عن تغيير  
 ما تكرهه لنفسها كآية فتاة أخرى ، ومخالفة لطباع النفس  
 البشرية لن تصمد طويلاً للتظاهر بالقبول بها راغبة طلباً  
 لإتمام الزواج منك ، ثم لا يمضى وقت طويل إلا وتتفجر  
 المشاكل ويزداد الموقف تعقيداً ، وخاصة أن فتاتك الأولى لن  
 تقبل ومهما كان حبها لك حقيقياً وصادقاً أن تتزوج بك وأنت  
 زوج لأخرى لم تُبن بها بعد ولم تنجب منها وليس هناك  
 ما يعوقك عن الاعتذار لها عن قصم الرابطة التى تجمعك بها  
 والتفرغ بكليتك لمن ترغبها .. إن الإنسان حين تشد رغبته  
 فى الأشياء قد تضعف حيلته أمامها وقد يبدى من المرونة  
 والاستعداد للتوضحية المهينة لنيلها ما لم يتوقعه هو من  
 نفسه.. لكن النفس سرعان ما تتمرد على ضعفها السابق إذا  
 تعلق الأمر بالعواطف ويندم على سابق قبوله لما لم يكن  
 يرضاه لنفسه لولا أن كان فى الموقف الأضعف ويطلب بشدة

ما يريده لنفسه .. فتبدأ الصراعات وتتصاعد المشاكل .. فما حاجتك أنت وحاجة خطيبتك الحالية إلى كل هذا العناء ، ولماذا تقفز أنت بإرادتك هذه المرة إلى بؤرة دوامة جديدة قد تدور بك سنوات ثمينة من العمر ويكون لها ضحايا آخرون من الأبناء الحائرين في المستقبل ؟

إن في مقدورك الآن أن تتعلق بطوق نجاة يخرج بك وبخطيبتك من دوائر الدوامه إلى شاطئ الأمان .. وذلك بأن ترفض شاكراً تضحيتها الممرورة هذه لك وتعتذر لها عن عدم الاستمرار في الارتباط بها وقلبك يهفو إلى غيرها لأن في ذلك ظلماً بيناً لها وتعوضها بكرم وسخاء عن الأضرار المعنوية والنفسية التي ستتكبدها بانفصالك عنها ، ثم تستكشف استعداد فتاتك الأولى للارتباط بك بعد الاعتذار لخطيبها .. وتستكملان القصة الناقصة بأقل الخسائر الإنسانية الممكنة .. فإذا كان في هذا الحل بعض الإجحاف بخطيبتك الحالية وبخطيب فتاتك الأولى وكل منهما لا ذنب له بالفعل في انشغال فكر شريكه بغيره ، فإن عزاءهما عما يتعرضان له من إجحاف بهما هو أن الحل المؤلم الآن سوف يجنب كلاً منهما في المستقبل القريب التعاسة الحقيقية وتجرع كأس العيش مع شريك لم يكن يتمناه لنفسه ومضى في الارتباط به وكأنه ينفذ حكماً قديراً عليه لا يملك له دفعا ، ولا شك أن كلاً منهما يستحق من الحياة ما هو أفضل كثيراً من ذلك ويستحق أن يرتبط بمن يزهو به .. ويراه أمله الكبير في الحياة ولسوف تعوضه الأقدار عما يخسره الآن نفسياً ومعنوياً خيراً عما عيماً بإذن الله .

## الماء الفاتر

أكتب إليك بعد أن ضاقت بى الدنيا وسدت أمامى جميع السبل،  
فأنا سيدة فى السابعة والأربعين من عمرى تزوجت منذ ٢٢ عاماً  
من شاب تقدم إلى خطبتى ، ولقى قبولاً من أسرتى .. ودعيته  
للتعرف به فى صالون البيت ، فرأيتة إنساناً هادئاً ومهذباً  
ووسيماً.. فوقع منى موقع القبول على الفور ، وأعلنت لأبى  
ترحيبى به وتمت الخطبة والسعادة تملأ جوانحى .. وبدأت  
الاتصالات التليفونية اليومية بيننا كل مساء وبدأ يزورنى كثيراً  
واقتربت منه وتفجرت ينباع الحب المكتوم فى قلبى تجاهه .. أما  
هو فقد كان هادئ المشاعر غالباً بالنسبة لى ، وشكوت لأمى من  
ذلك، فطالبتنى بالصبر عليه حتى تجمع العشرة بيننا ويتفجر  
ينبوع الحب فى قلبه تجاهى ، لأن ظروفه كشاب تختلف عن  
ظروفى .. فهو يكبرنى بخمس سنوات ، ولا بد أنه قد خاض أكثر  
من تجربة عاطفية قبل أن يرتبط بى ، أما أنا فهو أول إنسان فى  
حياتى ، ولهذا تدفقت عليه مشاعرى بقوة ، وأقنعت نفسى بصحة  
رأى أمى ، وساعدنى على ذلك أنى لم أجد منه إلا كل رقة واحترام  
فى التعامل معى ، أما مسألة التحفظ فى المشاعر هذه ، فلا دليل  
عليها سوى ما استشعره أنا فى أعماقى من أنه لا يحمل لى حباً

ملتهباً يكافئ حبي له .. وكنت قد تخرجت فى كليتى وعملت  
بوظيفة مناسبة .. وسألنى خطيبى عن خطتى بالنسبة للمستقبل  
بعد الزواج ، فصارحته بأننى أنوى الاستمرار فى العمل بضع  
سنوات إلى أن أشعر بحاجة أبنائى إلىّ ، فأتفرغ للبيت ، وسعد  
كثيراً بهذا التفكير ، وتزوجنا وسط فرحة الأهل وسعادتى الغامرة  
وكرست حياتى من اليوم الأولى للعناية ببيتى وزوجى وتوفير  
الجو الملائم له للتقدم فى عمله ، حيث كان يعمل بوظيفة تعدّه  
بمستقبل كبير وواجهنا فى بداية حياتنا الصعوبات المادية  
المألوفة .. فكنت أساهم بمرتبى كله فى البيت إلى جانب ما يعطيه  
لى أبى من مساعدات سرية .

وبناء على طلب زوجى أجلنا الإنجاب ثلاثة أعوام .. لكى تتوافر  
لدينا الظروف المناسبة قبل مجيء الأطفال ، بالرغم من اعتراض  
أمى ولهفة أبى على أن يرى حفيداً له منى ، ثم أبديت رغبتى  
لزوجى فى الإنجاب بعد أن بلغت الثامنة والعشرين ، فلم يعترض  
ولم يتحمس وشغلت عن فتوره للإنجاب بتطلى لأن أنجب منه  
أطفالاً .. وأنجبت طفلى .. وبعد عامين آخرين أنجبت طفلى ،  
وكنت أرغب فى إنجاب طفل ثالث لأنى أحب الأطفال ونشأت بين  
خمسة من الإخوة ، لكن زوجى أقنعنى بالاكتماء بما رزقنا به الله ..  
والاهتمام بالطفلين وحصلت على إجازة من عملى لرعاية الطفلين ،  
وفى هذه الفترة أعير زوجى للعمل بإحدى المنظمات بالخارج  
ورغبت فى مرافقته وإدخال الطفلين المدارس فى مقر عمله .. لكنه  
أقنعنى بأن أبقى فى مصر على أن ألحق به لقضاء شهور الصيف  
معه .. وتمتعت مع زوجى بأجمل فترات حياتنا ، واستمرت إعارته  
أربعة أعوام .. ورجع إلى واستقرت بنا الحياة فى مصر .. وتقدم

زوجى فى عمله ، وتحسنت أحوالنا المادية كثيراً .. وانتقلنا من الشقة العادية التى بدأنا حياتنا فيها إلى شقة جميلة بضاحية أجمل وواصل الابنان تعليمهما حتى بلغا المرحلة الثانوية .. وطوال هذه السنوات لم تحدث بينى وبين زوجى خلافات كبيرة .. ولم تشهد حياتنا سوى بعض الاحتكاكات البسيطة بحكم طبيعة الحياة المشتركة ومطالب الأبناء ومتاعب تربيتهم .. وفى كل الأحوال، فلقد حرصت دائماً على ألا تخرج خلافاتنا عن دائرة الاحترام المتبادل بينى وبين زوجى ، كما كنت غالباً من يبدأ بالاقتراب منه ومصالحته لأننى لا أطيق خصامه ولا جفائه لى . وفى المقابل فقد شهدت حياتنا مناسبات سعيدة كثيرة مثل نجاح الأبناء فى الشهادات العامة .. وترقية زوجى إلى مركز أكبر ، واحتفالات عيد زواجنا التى بلغت ذروتها قبل عامين فى ذكرى مرور عشرين سنة على الزواج ، حيث غمرنى زوجى بالهدايا والكلمات الجميلة التى هى أثمن من الهدايا أمام أولادى وأثنى على كثير ، وقال لابنتى إنه يريد منها أن تكون مثل أمها فى كل شىء ودعا لابنه بأن تهبه الحياة زوجة مثلى تحفظ زوجها وبيتها وأبناءها ، فبكيت من الفرح والسعادة .. ودعوت الله أن يحفظ لى زوجى وأسرتى وسعادتى ..

وكنت حين احتلفت بعيد زواجى العشرين فى إجازة بدون مرتب من عملى لأتفرغ للعناية بابنى وهو يستعد لامتحان الثانوية العامة .. وكلل الله جهودى وجهود ابنى بالنجاح ودخوله نفس الكلية التى سبقته إليها أخته .. وسعدنا بذلك كل السعادة ، واحتلفنا بنجاحه احتفالاً بهيجاً .. لم يمض على بداية عامه الجامعى الأول سوى عدة أسابيع ، حتى تكدت حياتى بملاحظتى

على زوجى ابتعاده عنى .. وانطواءه على نفسه .. وعدم استجابته لأى محاولة من جانبى للاقتراب منه أو معرفة أسباب انشغال فكره ، وتصورت أن زوجى ربما يكون يعانى أزمة منتصف العمر التى يمر بها بعض الرجال وخاصة أنه قد تجاوز الخمسين بعام ، وبدأ يشعر بانسحاب الشباب وظهور الشعر الأبيض بكثرة فى رأسه ، وحاولت إشعاره بأن هذا الشعر الأبيض قد زاده وسامة وجمالاً فى نظرى ، وهى حقيقة لكنه لم يستجب لأية محاولة .. وأمعن فى البعد والصمت والانطواء .. وكثرت أسفار العمل منفرداً دون أن يدعونى لمصاحبتة كما كان يفعل من قبل

إلى أن فوجئت به ذات يوم يقول لى فى هدوء قاتل إنه يريد أن يعترف لى بشىء خطير ويعرف ما أريد بعد سماعه .. أما الشىء الخطير الذى فاجأنى به زوجى بعد أكثر من عشرين عاماً من الزواج المستقر الناجح الخالى من المشاكل والصراعات فهو أنه غير سعيد معى .. ولا يريد الاستمرار فى حياتنا معاً .. ويخبرنى بين أن يهجر البيت دون طلاق ويقيم وحيداً فى الشقة التى كان قد اشتراها لتكون لابنه فى المستقبل ، على أن يبدأ فى شراء أخرى له بالتقسيط .. وبين أن يطلقنى فى هدوء ويعطينى كل حقوقى الشرعية ، وأظل فى بيتى وبين أولادى إلى نهاية العمر ، ونظل صديقين على البعد يحترم كل منا الآخر ويتعاون معه فى رعاية الأبناء ، وإذا بدا لى أن أتزوج غيره فى أية مرحلة من العمر، فلن يغير ذلك من طبيعة العلاقة بيننا، بل إنه يرحب إذا اقتضت الضرورة بزواجى فى نفس مسكن الزوجية وبين ولدى بشرط أن أحسن الاختيار !

ولن أروى لك ما حدث لى حين سمعت ذلك ولن أطيل فى

التفاصيل المحزنة التى تلت هذه « المناقشة الهادئة » كما يسميها ، وإنما سأقول لك فقط إنه قد خيلَ إلى أنى أشاهد فيلماً من أفلام السينما يجرى أمامى ، ولم أكن لأصدق وقائعه لولا أننى كنت طرفاً حياً فيه .

فلقد فشلت كل المحاولات والدموع والبكاء والاستجداء والتوسل من جانبى ومن جانب ابنى وابنتى مع زوجى فى تغيير موقفه ، وفشلت كل الوساطات العائلية فى إرجاعه عن فكره ومجر البيت فى يوم حزين وانتقل لشقيقته الجديدة التى أثتها على عجل ، واستفزتنى كرامتى بعد أن أعيتنى معه الحيل فقلت له إننى أفضل الطلاق وكأنما كان ينتظر منى هذه الإشارة، فأسرع بطلاقى وأرسل إلى مع شقيقه الأكبر مؤخر الصداق ونفقة المتعة ونفقة العدة وتعويضاً مالياً زائداً ، وأكد لى أنه سوف يستمر فى إرساله المبلغ الشهري الذى كان يدفعه لى كمصروف للبيت إلى ما لا نهاية ، وقدم لى شقيق زوجى مظروفاً بهذه المبالغ وعيناه تدمعان أسفاً وحزناً على انهيار هذه الأسرة التى طالما ضرب بها المثل فى الوفاق والاستقرار .

وقلت لشقيق زوجى : ماذا تساوى النقود وقد فقدت أمانى وسعادتى واستقرار ابنى وابتهاجهما بالحياة ؟ وأحنى الرجل رأسه ليخفى دمعته وودعنى وهو يدعو لى بالصبر وتعاطفت معى شقيقات زوجى وأزواجهن وأنكروا جميعاً تصرفه وغازبوه وحرصوا على زيارتى والسؤال عنى كل يوم ودعوتى إلى بيوتهم، وقبل أن أفيق من ذهولى ، فوجئت بالحوادث تتوالى سريعة بلا رحمة ، واكتشفت سر هذا الانقلاب الخطير فى شخصية زوجى ، حين فوجئت به يتزوج من سيدة طلقت من

زوجها قبل شهور قليلة ولها ثلاثة أبناء أصغرهم فى السابعة عشرة من عمره ! وعرفت أن زوجى كان يحب هذه السيدة ، وهى فتاة فى سن التاسعة عشرة وظل يحبها خمس سنوات ، وفشل فى الزواج منها لأسباب مادية ، وتزوجت مَنْ كان قادراً وقتها على تكاليف الزواج وإعداد شقة فى حى المهندسين ولديه سيارة ومال كثير ، وأنجبت منه وعاشت معه ٢٤ عاماً ، إلى أن التقت بزوجى خلال العمل بالمصادفة .. وشكت له من تعاستها روجية وندمها على إضاعته من يديها، فتجدد الحنين واستيقظت 'المشاعر النائمة' كما يقول .. وظلا على علاقة عاطفية بالتليفون واللقاءات الخاطفة فى العمل لمدة شهور ، واتفقا على استكمال القصة القديمة التى لم تتم .. وطلبت هى الطلاق من زوجها ، وأحالت حياته إلى جحيم إلى أن رضح بعد عناد كبير وتركت أبناءها الثلاثة وانتظرت أن يطلق زوجى زوجته ويتزوج قصتهما بالزواج، فلم يخب رجاءها ! وتزوجا وانتقلا إلى عش الحب الذى راح ضحيته رجل وامرأة وخمسة من الأبناء الحيارى .. وهما الآن سعيدان بحياتهما راضيان عنها ولا يؤرقهما لحظة واحدة عذاب الضمير بما فعلا بشركاء الحياة والأبناء وكل منهما يقول إنه قد أدى رسالته مع أبنائه ، ومن حقه أن يسعد بما بقى له من العمر إلى جوار مَنْ يحب ، فإذا قيل لزوجى إن ابنيه مازالا فى مرحلة الدراسة الجامعية يقول إنهما قد اجتازا المرحلة الصعبة وهى الثانوية العامة . وسوف يتخرجان ذات يوم ولن يتخلى عنهما ! وإذا قيل له إن زوجته تحبه ولم تسىء إليه ولم تكن حياته معها تعيسة ، أجاب - سامحه الله - بأن حياته معى كانت هادئة لكنها لم تكن سعيدة لأنه لم تكن بيننا سوى العشرة والاحترام وهى



شبيهة بالماء الفاتر الذى لا يروى العطشان .. أما حياته الحالية، فهي مشحونة بالعواطف الحارة ! فأى منطق هذا يا سيدى ؟ وما ذنبى أنا فى قصة الحب القديمة التى لم تكتمل أو فى تخطى بطلتها عنه بسبب الإمكانيات المادية وندمها فيما بعد على إضاعته من يديها .. وإذا لم يظهر هذا الندم وهو يتعثّر فى بداية حياته العملية وتفجر فجأة بغير مقدمات بعد أن أصبح زوجى رجلاً مرموقاً فى مجاله ولديه إمكانيات مادية جيدة وسيارة فاخرة وشقة إضافية ودخله كبير وحتى لو صدقت هذه المشاعر .. فما ذنبى أنا فى ذلك ولماذا يحترق قلبى وأنا أقترّب من الخمسين بغدٍ شريك الحياة والحرمان من السعادة والاستقرار ؟ . لقد قال لى زوجى خلال مناقشتنا الهادئة تلك وفى برود قاتل إننى أستطيع أن أبدأ حياتى من جديد مع غيره .. فسامحه الله على ما لا يفهمه.. إذ كيف يمكن أن أحب رجلاً آخر بعد ٢٣ عاماً من الحب الخالص لإنسان وهبته كل مشاعرى وحياتى ؟ .. وكيف أستطيع أن أدخل على ابنتى الشابة وابنى الشاب رجلاً آخر غير أبيهما يختلئ بى فى غرفة النوم وهما فى الجوار يرقبان ويفهمان ويتألمان ، وما هذا « الحب » اللعين يا سيدى الذى يبرر به زوجى كل هذه القسوة على مَنْ لم تكن ترى الدنيا إلا من زاويته وعلى الأبناء الذين كانوا يرون فيه مثلهم الأعلى ؟

لقد مررت بفترة عصيبة انهرت فيها صحياً ونفسياً .. وبدأت أفكر فى الرجوع للعمل وقطع إجازتى لعلّى أجد ما يشغلنى عن التفكير المستمر لمدة ٢٤ ساعة .. فى طعنة زوجى ووالد ابنى لى وأنا فى هذه المرحلة من العمر .. فبماذا تنصحنى يا سيدى وماذا تقول لى وله ؟

## ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

بعض الناس يقيسون فيما يبدو عمق « سعادتهم » بحجم اتساع دائرة ضحايا هذه السعادة من الأبرياء الذين داسوا على أشلائهم للوصول إليها . وبهذا المقياس الفاسد ، فإنه يحق لزوجك السابق وشريكته في هذه « السعادة » أن يفخرا بعدد الضحايا الذين سقطوا على جانبي الطريق خلال سعيهم لنيلها . أما أصحاب القلوب الحكيمة من البشر ، فهم لا تصفو لهم السعادة إذا شقى باختيارهم لها أعزائهم حتى لو شكوا بالفعل من بعض جوانب النقص في حياتهم .

والحياة قد تحول أحياناً بين الإنسان وبين بعض ما يرجوه لنفسه وتجود عليه في نفس الوقت بما يكفي لأن يعوضه عما يفتقده في حياته أو يراه من وجوه النقص فيها . ولقد تتاح له فيما بعد الفرصة لتصحيح ما يعتبره من أخطاء الحياة في حقه ، فيتوقف أمام هذا الاختيار ويوازن بين ما سوف يجنيه من عوائد هذا التصحيح المتأخر وبين ما سوف يتكبده أعزأؤه من ثمن فادح له وما سيدفعه هو نفسه من اعتباره لدى الأبناء والأهل والمجتمع المحيط به ، فيفضل إذا كان ممّن لا يسعدون بشقاء الأعزاء والآخرين ألا يعدل بحسن اختيار الله له شيئاً ، ويتجاوز عما لا يرضيه من حياته إلى ما يرضيه منها ، فيشكر ربه عليه ويسلم بأنه « وأمر من بعض الداء الدواء » كما قال أمير الشعراء ، فيعزف عن خيار التصحيح إذا كانت أضراره الإنسانية والعائلية والاجتماعية أكبر بكثير من أضرار استمرار الحال على ما هو عليه والرضا به . وكذلك يفعل الفضلاء ومَنْ يستشعرون

مسئوليتهم العائلية عن يعتمدون عليهم في حياتهم ..  
ومسئوليتهم الإنسانية عن إعلاء المثل العليا في الحياة ، أما  
اختيار « أنا وبعدي الطوفان » فهو اختيار ذوى الأثرة  
والأنانية والإحساس المتضخم بالذات على حساب الغير ،  
وهؤلاء لا يجدى معهم الحديث الآن على الأقل وهم في ذروة  
النشوة الموهومة « بانتصار الحب » على الأعراف والتقاليد  
والقيم العائلية والاجتماعية وكافة القيود والأغلال  
الاجتماعية وإنما قد يجدى الحديث إليهم بعد حين ، عندما  
يخمد الفوران العاطفى الذى بذكيه الآن الإحساس بالتحدى  
للصعاب والعقبات العائلية والاجتماعية.. وعندها قد يكتشف  
أطراف مثل هذا الاختيار أن ما خسروه من خسائر إنسانية  
وعائلية واجتماعية خلال سعيهم لنيل سعادتهم الخاصة  
بغير اعتبار سوى لمشاعرهم ورغباتهم وحدها قد يكون أكبر  
بكثير من حجم ما نعموا به بالفعل من سعادة .. حقيقية  
كانت أم زائفة ، فصبراً يا سيدتى ، فإن خداع الأبصار لا يدوم  
إلى الأبد ولا بد من يوم يراجع فيه كل إنسان كتابه مع الحياة  
ويؤرقه ضميره بما جنى على الآخرين بغير ذنب ارتكبه  
سوى أن أقدارهم قد وضعتهم على غير إرادة منهم فى طريق  
سعيه لسعادته .. وقد يتدارك ما يستطيع تداركه من أخطائه  
وعثراته قبل أن يفوت أوان الإصلاح والاعتذار . ولقد شعرت  
بعمق فجيعتك فيمن أخلصت له الحب طوال الرحلة، فلم  
يبادل لك للأسف بعض هذا الحب ، وضحى بك عند أول مفترق  
للطرق كأنما قد كانت حياتك معه ومشاعرك تجاهه ضياعاً من  
الضياع . ولقد ذكرنى موقفك الحسير وشقيقه الأكبر يقدم

إليك « فدية » الغدر والخيانة بموقف إحدى زوجات الإمام الحسن بن علي حين ولي الخلافة بعد مقتل أبيه وأخطأت الزوجة، فهنأته بها قائلة : لتهنك الخلافة يا أمير المؤمنين، فقال لها : أيقتل علي وتظهرين الشماتة ؟ .. أذهبي فانت طالق ثلاثاً . وبقيت في بيته حتى انتهت عدتها وبعث إليها بعشرة آلاف درهم كمتعة ومؤخر صداق ، فقالت المرأة لمن حمل إليها المال وهي باكية :

– متاع قليل من حبيب مفارق !

وصدقت فيما قالت، فكل شيء في الحياة حقاً « متاع قليل » إذا افتقد الإنسان راحة القلب وسكونه إلي جوار مَنْ يحب .

لكن ماذا نقول نحن فيمن لا يرون إلا أنفسهم ورغباتهم ومطالبهم من الحياة ولا يعينهم في كثير أو قليل ما قد يقدمونه من قرابين بشرية على هيك الفوز ببلوغ غاياتهم ؟ قد نقول ما قاله أحد الحكماء في موقف مشابه : لقد أحببت الإخلاص وكرهت الغدر وآمنت بالخير والحق والعدل والجمال ، والمثل العليا . وكان ذلك لنفسى قبل أن يكون لغيرى .. فإن كافأني الغير على ما حملت لهم من مشاعر طيبة بالوفاء لى فيها ونعمت ، وإن جحد البعض عطائي ومشاعري وإخلاصي ، فلقد استمتعت بممارسة إحساس العطاء والحب والوفاء والنبيل .. ولى ما أحسست به .. وعليهم عاقبة ما تنكروا له من عطائي السابق لهم ، وفي ذلك بعض العزاء !

نعم يا سيدتي في ذلك بعض العزاء .. فتماسكي دفاعاً عن نفسك وصحتك ودفعاً اللهم والحزن والمرض ، واستجمعي

قواك لكي تواصلى رحلة الحب والعطاء لأبنائك وتستكملى معهم رسالتك وتستمتعى بجنى ثمار عطائك النبيل لهم .. ولا بأس بفكرة العودة للعمل لكي يشغل بعض أوقاتك ويخرجك من دائرة الانحصار داخل ماساتك الشخصية .. إلى العالم الأوسع بأفأقه واهتماماته وشواغله فالفراغ من كل عمل يشغل الإنسان عن همومه هو أعدى أعداء المهموم بأمره .. وأنشط أعوان المرض عليه ..

فارجعى إلى عملك ولو بمسقة مؤقتة وثقى فى نفسك وجدارتك بكل خير وجميل فى الحياة ، وتأكدى دائماً من أنه « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » . صدق الله العظيم

## اللوحة المثالية

ترددت طويلاً قبل أن أكتب إليك رسالتي هذه ، فأنا سيدة أشغل مركزاً قيادياً مرموقاً ، رقدت نساءً في أسرة ريفية طيبة وكان أبى رجلاً طيباً مخلصاً لأسرته وبيته كل الإخلاص ، وأمى أما رائعة مثالية وأخى وأختى لا تعرف كلنا سوى الحب والترابط والتعاطف ، وحين وصلت إلى السنة النهائية في كليتي تقدم إلى شاب جامعي للزواج منى ورحب به والدي وشاركته والدتي الترحيب رحمهما الله ، وكان أول رجل يدخل حياتي، فتملكني حبه وشعرت بأن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليّ به ، وتزوجنا وعشت معه اسعد أيام الحياة ومضت بنا الأيام على خير ما يرام ورزقنا بولدين وبنت ، ورفرف الحب والوئام على حياتنا حتى استحققنا أن نكون بالفعل الأسرة المثالية ، فعلاقتي بزوجي لا توصف من حيث الحب والإخلاص والصراحة المتبادلة بيننا والمشاركة الكاملة بيني وبينه في كل شيء .. لا مال لي ولا ماله له ، وإنما كل ما يملك زوجي هو لنا معاً وكل ما أملكه كذلك ، حتى حسابي بالبنك معه توكليل منى بالتصرف فيه ، كما أن معي توكيلاً منه بالتصرف فيما يملك ، والأبناء رائعون ومتفوقون .. ومهذبون وقد تقدموا في الدراسة حتى بلغوا كلياتهم المرموقة

وتخرجوا فيها ، وسعدنا بمناسبات نجاحهم وتخرجهم ، وتعاونت مع زوجى فى افتتاح مكاتب ومشروعات مهنية صغيرة لهم .. واكتملت اللوحة العائلية المثالية بارتباط أبنائنا الثلاثة بزوجات وأزواج من أسر عريقة طيبة .. ولم تشهد حياتنا فى هذا الأمر أى خروج على اللوحة الرائعة ، فلم يرتبط ابن لى بمن هى دونه اجتماعياً وعائلياً ، ونشبت بسبب ذلك مشكلة عائلية فى أسرتنا ، ولا ارتبطت ابنة لى بزواج لا يستحقها وحاربتنا لكى تتزوج رغماً عنا - كما نقرأ أحياناً فى بريد الجمعة - وإنما مضى كل شىء فى سلام ووئام .. وانتقل الأبناء إلى أعشاشهم الصغيرة وعرفنا متعاً عائلية جديدة حين نزورهم فى بيوتهم أو يزوروننا فى بيتنا .. ولم يلبث الأحفاد أن جاءوا ليزيدوا حياتنا ضياءً وبهجة حتى خشيت على حياتى من الحسد ، ودعوت الله دائماً أن يحفظ علينا سعادتنا وسلامنا العائلى .

ثم اقترب زوجى من سن المعاش وبدأت عليه علامات انشغال خاطر والتفكير ، وأحسست بما يدور فى نفسه وهو يقترب من سن التقاعد من العمل ، وأنا ما زلت أعمل ، وأخرج إلى عملى كل يوم ، وفكرت فى الأمر طويلاً ثم عرضت عليه أن أنهى حياتى العملية وأخرج للمعاش المبكر ، لكى أشاركه أوقات فراغه وخاصة أنه لم يكن يفصل بينى وبين سن الستين سوى خمس سنوات ، وقلت له إن حياتنا قد اكتملت ، وأنا أدينا رسالتنا مع أبنائنا على خير وجه .. فلماذا لا أستقيل وأتفرغ له ونستمتع معاً بحياتنا وأوقات الفراغ الطويلة .. وباستقبال أحفادنا الصغار لحين عودة أمهاتهم الشابات من العمل ، ولكنه فضل لى الاستمرار فى عملى حتى أصل إلى سن المعاش الطبيعية ، واستجبت لرغبته ، وبلغ

زوجى سن المعاش ، واحتفلنا بتحرره من أسر الوظيفة ، وسافرنا معاً للأراضى الحجازية لأداء العمرة ، وشكرنا الله سبحانه وتعالى كثيراً أن خرج زوجى إلى المعاش وهو بكامل صحته .

وبدأ زوجى بعد المعاش يجلس وحيداً فى البيت فى الصباح وأخرج أنا للعمل ، وعرف التدخين بانتظام لأول مرة فى حياته وعاتبته فى ذلك خوفاً على صحته ، فأجابنى بأنها مجرد تسلية لشغل الفراغ وتعمدت أن أكثر من الخروج معه عقب عودتى من العمل بالرغم من إرهاقى وتعبى ، وأكثرنا من زيارة أبنائنا فى بيوتهم لكيلا يشعر بالملل والضيق بالفراغ .

ومنذ بضعة شهور نسيت فى البيت عقب خروجى منه تقريراً كتبته عن شأن من شئون العمل ، واكتشفت ذلك عند وصولى لمكتبى ، فاستدعيت عاملة من العاملات معى وأرسلتها للبيت لإحضاره ، وبعد ذلك لاحظت أكثر من مرة اختفاء أشياء صغيرة من حقيبة يدى بعد وصولى للعمل كمفاتيح المكتب وغيرها ، فكنت أرسل هذه العاملة لإحضاره من البيت لأنها تعرف طريقه .

وذات يوم شعرت بإجهاد شديد وأنا فى العمل وتعرضت لنوبة من الإغماء ، وانزعج زملائى وتعاونوا على إعادتى للبيت بسيارة أحدهم ، ونزلت أمام سكنى وصعدت إليه وفتحت الباب ودخلت حجرتى ، فإذا بى أجد زوجى الرجل المثالى المحترم جد الأحفاد الصغار يجلس فى الغرفة وتلك العاملة التى سبق أن أرسلتها إلى البيت عدة مرات ، تتحرك فى المكان على راحتها وهى ترتدى الملابس المنزلية التى تخصنى .. ولست أدرى ماذا فعلت أو قلت أو قال زوجى .. لكنى أذكر فقط أننى سمعت تلك الحقيبة



تقول لى فى ثبات إن البيه زوجها هى الأخرى ، كما هو زوجى  
حضرتى أنا الست المديرية !

واسترددت وعيى بعد ذلك، فوجدتنى ممددة فى فراشى  
وحولى ابنى ومعه طبيب من معارفه ، ولم أنطق بشيء ولم أقل  
شيئاً .. إلا أننى فقط انفعلت وهجت مرة أخرى حين دخل على  
زوجى وأغمى على مرة ثانية ، وسأضرب صفحاً عن ذكر  
التفاصيل التى تلت هذه الفاجعة .. وسأقول لك إننى حصلت على  
إجازة من عملى لمدة شهر قضيت بعضه فى بيت ابنتى التى  
حاولت معى طويلاً أن تعرف سر ما حدث لى ، فلم أبح لها به .

ورجعت إلى بيتى بعد هذه الفترة وطلبت من زوجى تفسيراً لما  
فعل، فلم يجد ما يقوله لى سوى أنه « أمر الله » وأنه لم ولن يكون  
فى يوم من الأيام عاصياً لربه ، فطلبت منه أن يطلقها ويعطيها كل  
ما نملك مقابل طى هذه الصفحة قبل أن يعرف بها الأبناء ، وتهتز  
لديهم صورة الأب المثالى والجد الحنون لأطفالهم ، فرفض هذا  
الحل . أما « الهانم » التى ارتبط بها زوجى وعرضنى من أجلها  
لهذه المحنة فى هذه المرحلة من عمرى ، فقد علمت من العمل أنها  
استقالت واختفت منه .

إننى أخشى على أولادى وأحفادى حين يعلمون بهذه القصة  
الشائنة عن أبيهم وجدهم ، ولا أدري كيف أواجه ما تبقى من  
حياتى بعدها .. وزوجى ما زال مصراً على موقفه بالرغم من كل  
ما حدث ، فماذا أفعل يا سيدى حرصاً على سمعة أولادى  
وأوضاعهم العائلية فى أسر أصهارهم .. وهل يكون انتحارى هو  
الحل الملائم لمثل هذه الكارثة علماً بأن خوفى من ربى هو وحده  
الذى يمنعنى الآن من الإقدام عليه ؟

## ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

الانتحار ليس حلاً لأية مشكلة من مشاكل الحياة ، وإنما هو هروب منها وعجز عن مواجهتها والصمود أمامها .. فضلاً عن أنه عمل يائس يخرج بصاحبه من حظيرة الإيمان بربه ، إلى اليأس من روح الله ومن كل شيء في الحياة .

والواضح يا سيدتي من سياق قصتك الغريبة هذه أن زوجك قد تأثر تأثراً سلبياً بعدة عوامل تحالفت كلها ضده ، وأدت به في النهاية للوقوع في هذه المحنة العائلية والاجتماعية ، أولها هو أنه لم يتفاعل على الوجه الصحيح مع مشكلة الفراغ التي واجهها بعد الإحالة للمعاش ، ولم يحسن التعامل مع أزمة انتهاء الدور ، والاعتقاد الخاطيء لدى البعض بتراجع أهميتهم في الحياة ، وعلى المستوى العائلي لمجرد انتهاء مرحلة العمل في حياتهم وبدء مرحلة تذوق الحياة على مهل واكتشاف جمال الأشياء والعلاقات الإنسانية التي لم يكن إيقاع الحياة اللاهث يسمح له من قبل بتوجيه قدر كاف لاكتشافها والتمتع بها .

وأما ثاني هذه العوامل ، فهو أنه فيما أتصور كان يشكو بعض النقص في الإشباع الحسى والعاطفى فى علاقته بك بالرغم من مثالية الصورة العائلية واكتمال معالمها ، ذلك أن اكتمال الصورة ، وبالرغم من أنه فى حد ذاته قيمة كبرى ونعمة جلية من نعم الحياة ، إلا أنه لا يُغنى الزوج أو الزوجة عما يستشعره أحدهما من نقص الإشباع العاطفى والحسى فى علاقته بشريك الحياة ، حتى لو عوضه عنه الكثير والكثير مما حققه فى حياته ، وأما ثالث العوامل

وأخطرها .. فهو توافر عامل « الإغراء » الذى أتاح لزوجك أن يحيل ما يراوده من أفكار وتمنيات ساعد وقت الفراغ الطويل على استسلامه لها والمغالاة فى تقدير أهميتها ، إلى واقع عملى ، فبعض الأشخاص قد تراودهم مثل هذه الأحلام الوردية لإشباع ما يشعرون بنقصه فى حياتهم ، فلا يرددهم عن ذلك الإخلاص لشريك الحياة أو مراعاة الاعتبارات العائلية والاجتماعية التى تكبل حركتهم وإنما يرددهم عن ذلك أنهم حين استسلموا لضعفهم لم يصادفوا فى التوقيت الملائم مَنْ يمكن أن يحيلوا معه خواطرهم وأمنياتهم الحبيسة إلى واقع عملى ، ذلك أنه كما يحتاج الأمر إلى شخصين لكى تقع مشاجرة على حد تعبير المثل الإنجليزى القديم ، فإنه يحتاج إلى شخصين أيضاً لكى تبدأ علاقة ارتباط أو زواج . ومن سوء الحظ أن زوجك قد صادف ، وهو فى مرحلة الضعف المعنوى والتأثر بوهم انتهاء الدور ، وازدياد الرغبة الحسية لديه بتأثير الفراغ من هموم العمل والحياة ، هذه القرصانة المستعدة للتلبية والانخراط فى مغامرة « مشروعة » تكفل لها الارتقاء الاجتماعى وتلبية الرغبات الحسية والمعنوية والمادية لديها فى نفس الوقت ، ولو لم تضعها الأقدار فى طريقه فى هذا التوقيت الشائك بالذات ، لربما كان قد تجاوز مرحلة الضعف النفسى هذه بسلام ، وتواءم مع المتغيرات الجديدة فى حياته وتوصل إلى الصيغة الملائمة معك لإشباع ما يشكوه من نقص .

إنها حالة أخرى من حالات ذهول القلب والعقل والتغاضى عن كل الاعتبارات العائلية والاجتماعية أمام النزوة الطارئة

أو إلحاح الغريزة أو العاطفة العابرة ، وهذا الذهول قد يمتحن به أى إنسان فى أى مرحلة من العمر ، فيضعف أمامه البعض ويعرض النفس والأسرة لمتاعب عائلية ما كان أغناه عنها ويصمد له من الأزواج والزوجات من رحم ربك واعتصم بدينه وخلقه وإحساسه السليم بمسئوليته العائلية والإنسانية .

ولقد كان الأخرى بزوجك أن يعتصم ، بكل ذلك ويسعى لحل مشكلة علاقته بك ، إذا كان يشكو نقصاً فيها بدلاً من أن يعرض نفسه وزوجته وأبنائه لهذه المحنة الطارئة التى تחדش جلال صورته فى أعين أبنائه وزوجاتهم وأزواجهم وأصهاره .

ولقد روى كاتب قصة « سراب الحب » الأمريكية موقفاً مشابهاً لرجل ناجح وقور وزوج مخلص لزوجته وسعيد معها ، كان دائماً ضد نزوات الأزواج ويستعيد بربه منها ، ويردد دائماً من العهد القديم الآية الكريمة التى تقول : « وسيلبونك الله بالجنون والعمى وذهول القلب » مستعيداً بربه من مثل هذا الابتلاء ، إلى أن جاء يوم ووضعت الأقدار فى طريقه امرأة لعوباً ساحرة انهارت حصونه أمامها من الوهلة الأولى ووقع فى هواها .. ونسى التزامه وإخلاصه لزوجته ، وانساق وراء أهواء نفسه معها واعترف لشريكة حياته بأنه « مريض » ولا يملك دفعاً لهذا المرض المفاجئ ، وصبرت عليه زوجته عسى أن يشفى من « مرضه » ويسترد اتزانها ، غير أنه لم يغفر لنفسه بعد أن أفاق من نزواته ما فعل بزوجته ونفسه وصورته المثالية فى أذهان المحيطين

به ، ولم يجد تكفيراً لذلك سوى الانتحار من فوق سطح  
العمارة التى يقيم بها .

ولسنا نطالب زوجك بمثل هذا « التكفير » المرفوض عما  
فعل بنفسه وزوجته وصورته الجليلة كزوج وأب وجد ،  
وإنما نطالبه فقط بأن يسترد نفسه من حالة ذهول القلب  
والعقل هذه التى استولت عليه فجأة وهو فى سن الهدوء  
والاحترام ، وبأن يتوصل معك إلى صيغة ملائمة لحل كل  
مشاكله ، وتلبية كل احتياجاته العاطفية والنفسية حتى لو  
تطلب الأمر تفرغك الكامل له واستقالتك من عملك ، وبأن  
يسرع باسترداد صورته المثالية فى أعين الأبناء والأحفاد  
والأصهار وشريكة الحياة ، قبل أن يفلت الزمام من يديه  
وتأتيه القرصانة الأخرى بوليد صغير يزيد الأمور تعقيداً ، أو  
يتسرب خبر المحنة إلى الأبناء والأصهار ، ويصبح عسيراً  
إصلاح ما أفسده الاندفاع والتهور والاستسلام لأهواء النفس  
بغير خسائر معنوية واجتماعية جسيمة .

فهل يستجيب لنداء العقل قبل فوات الأوان ؟!

وهل تستمرين أنت فى إبقاء الأمر داخل الدائرة الضيقة  
بينكما ، إلى أن يسترد زوجك نفسه ويتحرر من أسر هذه  
القرصانة بأقل الخسائر الممكنة ، كما تحرر من قبل من أسر  
الوظيفة وأعبائها ؟

## سلاح الصمت !

أنا رجل أعمال وزوجتى جامعية وربة بيت حالياً ولدى أبناء وقد كتبت إليك لأننى حائر وأشعر لأول مرة فى حياتى بالعجز أمام مشكلة جوهرية من مشاكل الحياة .. فمنذ عشرين عاماً كنت أنا وزوجتى قد أنجبنا طفلين ، ونغالب ظروفنا المادية الصعبة .. وكانت زوجتى حاملاً فى طفلنا الثالث .. وتستعد للولادة ، فشاءت الأقدار أن أوفق فى هذه الفترة بالذات فى الحصول على فرصة عمل بالخارج ، وزاد من ابتهاجى بها وجود فرصة عمل أخرى ممتازة لزوجتى فى المؤسسة نفسها . ووضعت زوجتى مولودنا الثالث .. وتحدد موعد السفر بعد ١٧ يوماً فقط من الولادة، فاضطررنا لترك المولود الحديث فى رعاية جدته لأمه خوفاً عليه من عدم استقرار أحوالنا فى بداية الغربة ، واصطحبنا طفلينا الآخرين وكانا فى عمرى ٦ و ٤ سنوات وبدأنا تجربة الاغتراب .. واستغرقت فى عملى الجديد ، وكذلك زوجتى .. وفى نهاية عامنا الأول فى الغربة عدنا فى إجازة لمدة شهر ، وحاولنا تعويض الطفل الوليد عن غيابنا عنه بالهدايا الغالية ، وواضبنا على ذلك كل عام ، إلا أننا لاحظنا أنه لا ينسجم معنا على الإطلاق ، وأنه لا يتعلق سوى بجدته والألعاب التى نحضرها له فقط ، واستمر

الحال على هذا النحو ست سنوات ازدادت خلالها الفجوة بيننا وبين هذا الابن الأصغر، فقررنا أن نصطحبه معنا إلى مقر عملنا لكيلا ينسى أبويه ، ولكي يقترب من أخويه .. ونفذنا هذا القرار بالفعل واصطحبناه معنا على كره منه ، ولاحظنا خلال الفترة الأولى من حياته المشتركة معنا فى الغربية هروبه من الجلوس إلينا أو الحديث معنا .. فسرنا ذلك فى البداية بأسباب تتعلق باختلاف الحياة العائلية التى اعتاد عليها .. لكننا لاحظنا أيضاً أنه لا يجالس أخويه ولا يشترك معهم فيما يشترك فيه الأبناء من لهو أو مسامرة أو نشاط .. وأرجعت ذلك أيضاً لاختلاف طبيعته عنهما حيث إنه شديد الحساسية على خلاف أخويه ولأمر ما اعتقدنا أنا وزوجتى أن أفضل أسلوب نتبعه معه هو الحسم ، إيماناً بأنه سوف يجعل منه شخصية قوية، فاتبعنا ذلك الأسلوب ولم نحد عنه ، ومضت السنون والابن الأصغر يزداد عزلة وكآبة وهزالاً لانعدام شهيته للطعام . كما لاحظت أيضاً أن أمه تكثر من إهانته وإحراجة لأتفه الأسباب ، فكنت لا أتدخل لمنعها من ذلك ظناً منى أن فى ذلك ما يحقق مصلحته .. وساعدنى على هذا الظن أنه ظل دائماً الابن المهذب شديد الحياء والذكى المتفوق دراسياً ، الذى لا يهتم بالمال نهائياً .

وبلغ ابنى عامه السابع عشر وهو يزداد عزلة وكآبة . وفى هذه المرحلة انتهى عملنا فى الغربية ، فرجعنا إلى بلدنا ومعنا من المال ما لم نكن نحلم بجمع نصفه ، وأقمنا فى مدينة كبرى من مدن بلادنا ، والتحق الابن الأصغر بكلية مرموقة على غير إرادته، حيث كان حلم حياته أن يدرس الهندسة لحبه للرياضيات والعلوم الاليكترونية ، لكنه وبضغط شديد من والدته قبل الالتحاق بتلك

الكلية المرموقة بالرغم من كراهيته الشديدة للدراسة فيها . وكانت النتيجة أن رسب فى عامه الأول بها ، وهو الطالب المتفوق فى كل مراحل الدراسة السابقة ، وكان رسوبه قاسياً عليه لكن أمه لم تتفرق به على الرغم من ذلك ، وأذاقته كل ألوان التجريح والإهانة ، وكعادته بعد كل مواجهة بينه وبينها ، فقد دخل غرفته واستسلم للبكاء يومين كاملين امتنع خلالها عن تناول الطعام وقمنا بعلاجه من الضعف العام الذى صابه .. وبعد شفائه منه اتبع معنا أسلوب الصمت التام إلا للضرورة القصوى ، فلا حديث معى أو مع والدته أو أخويه إلا للضرورة التى لا مفر منها .. ولا مسامرة بيننا وبينه .. ولا شئ سوى إجابات مقتضبة على أسئلتنا له . وواصل بعد ذلك تعليمه تحت ضغط أمه وهى المسئولة عن متابعة تعليم الأبناء ، ومضى العام تلو العام ، وهو ينجح بالكاد فى نهاية كل عام دراسى وفى كل مرة تظهر فيها نتيجة تقوم أمه بإهانته وإحراجة ، إلى أن جاءت السنة النهائية هذا العام وظهرت نتيجة الفصل الدراسى الأول منها قبل أسابيع وكانت كالعادة سيئة ، فبدأت والدته فى سيل الإهانات والتجريح الموجه له .. فإذا بالابن الصامت المنكسر ينفجر لأول مرة وهو الذى لا يعلو صوته على أحد حتى مع صفعات والدته له وإذا به يصيح فى وجه أمه بصوت كالرعد : كفاكم ظلماً ، ثم يشق قميصه من شدة انفعاله ويدخل حجرته ويغلقها عليه ..

وفى الصباح .. دخلنا حجرته ، فلم نجده فيها ووجدنا بدلاً منه رسالة يعاتبنا فيها عتاباً مؤلماً ويقول لنا فيها إنه يحبنا كثيراً لكنه لا يعرف كيف يثبت لنا هذا الحب .. وإنه لا يريد منا مالاً ، فلقد كرهه كما كره كل شئ فى الحياة .. ويطلب منى ألا أبحث عنه ..



ومن أمه ألا تدعو عليه بسوء لأنه ابنها مهما يكن من أمره .  
ونزلت على كلمات هذه الرسالة المريرة كالصاعقة .. وصهرت  
مشاعري الأبوية التي تجمدت منذ سنين طويلة .. وشعرت وكأن  
سيخاً من الحديد المحمى بالنار يدخل في أحشائي .. ولم يهدأ لى  
بال حتى عرفت أنه يقيم وحيداً في بيت جدته لأمه في بلدتنا  
الأصلية .. وقررت أن أدعه لنفسه بعض الوقت إلى أن تهدأ  
أعصابه ، ويعود إلينا ، ورحت أقلب في كتبه وأوراقه التي تركها  
وراءه ، فوجدته قد كتب فيها كلمات ممرورة يقول فيها إنه يحس  
بأنه شخص غير مرغوب فيه ويتساءل . لماذا لا يهتم به أبوه  
ويقربه منه ؟ ولماذا حين تقطر عينه الدمع دماً لا يجد مَنْ يخفف  
عنه أو يشعر به ؟ .. ولماذا يتم كل شيء في بيتنا بالشدة والشجار  
والصخب .. ثم يقول : كل كلام أبى وأمى مطاع طاعة عمياء حتى  
ولو لم يفهما ظروفى !

ويختتم تساؤلاته هذه بعبارة كادت تصيبني بالشلل حين  
قرأتها وهى أنه يشك جدياً في أنه لقيط وليس ابناً طبيعياً لى  
ولأمه وذلك على ضوء ما يحس به ويستشعره ، ويطالبنا باعتباره  
ميتاً ، مؤكداً لنا أن ذلك لن يكون صعباً علينا ، ونحن اللذين  
تركناه من قبل في فترة كان فيها أضعف كثيراً منها الآن .  
إننى يا سيدى فى ذهول مما قرأته فى أوراق ابنى وقد عز على  
أنه لا يشعر بأبوتى له وأنا الذى على استعداد لأن أفديه بنفسى  
وعمرى ، وأنه يلومنا على تركنا له طفلاً رضيعاً وسفرنا إلى  
الغربة ، بدلاً من ترك أمه معه كما قال . وأقول أنا أيضاً بدورى ..  
إننا ما سافرنا إلى الخارج إلا لى نحميه من ذل الحاجة والفقر ،  
وما تركناه فى رعاية جدته إلا لأن سنه كانت صغيرة للغاية

ولم تكن أمه تستطيع رعايته فى سنواته الأولى وهى تعمل  
بالغربة ، كما أننا لم نبخل عليه مادياً وقد وعدته بأن يكون له  
ما قدمته لأخويه كأساس لحياته المستقلة فى المستقبل وبمجرد  
تخرجه .

ولقد كنت أعمل فى الغربة ٢٠ ساعة فى اليوم من أجله ومن  
أجل أخويه أفلا يشفع لى ذلك عنده فى أن يلتمس لنا العذر فيما  
كان ؟!

إننى لا أتحمل أن أكون أباً ظالماً لأبنائه وزوجتى تقول لى إن  
ابننا هذا يتدلل ولا سبيل للتعامل معه إلا بالاستمرار فى التعامل  
معه بالشدة .

وأنا حائر بين ذلك وبين عاطفتى تجاهه وخوفى عليه ورغبتى  
فى إشعاره بعاطفتنا تجاهه .. فبماذا تنصحنى أن أفعل معه ؟

### ولكاتب هذه الرسالة أقول :

افعل معه يا سيدى ما يفعله الأب حين يشعر بخطر ضياع  
ابنه النهائى منه ! اذهب إليه حيث يقيم وحيداً ممروراً واطرح  
له نفسك ودافع عن مشاعرك الأبوية المتهمة لديه وبرهن له  
على سلامتها وخلوها من كل شائبة حتى لو كانت تجربتك  
السابقة معه قد اتسمت بسوء التعبير عن هذه المشاعر ، فنحن  
لا نستطيع إعادة شريط الأيام إلى الوراء لكى نعدّل من  
أحداثه أو اختياراتنا السابقة فيه .. لكننا نستطيع على الأقل  
أن نعالج بعض آثار هذه الاختيارات ونخفف من عواقبها كما  
نستطيع أيضاً أن نتحلى بالشجاعة النفسية والأدبية  
ونعترف بخطأ بعض هذه الاختيارات كما أثبتت لنا بعد ذلك  
تجربة الحياة بل وأن نعتذر عنها لأعزائنا الذين دفعوا ثمنها

غالباً من أمانهم وسعادتهم وتكوينهم النفسى .

ولا شك أن اختيارك أنت وزوجتك للاغتراب وترك طفلكما الوليد الذى لم يبلغ من العمر سوى ١٧ يوماً فقط وراءكما واستمرار غيابكما عنه ست سنوات كاملة ، كان اختياراً تربوياً وإنسانياً خاطئاً رجحتما فيه المصلحة المادية للأسرة على المصلحة الإنسانية والنفسية والتربوية لهذا الطفل الوليد - فكان اغترابكما المكانى عنه معادلاً لاغترابه النفسى عنكما ولافتقاده للإحساس الطبيعى بحضن الأم ورعاية الأب، ولا يفلح فى الاعتذار عن هذا النبذ العاطفى للطفل الوليد أنه قد ترك لرعاية جدته لأمه .. لأن الأطفال لا يربون بالنيابة عن آبائهم وأمهاتهم الطبيعيين إلا للضرورة القدرية وحدها وهى لم تتوافر فى ظروفكما .. ولأن الضرورة المادية التى اقتضت سفركما بغير اصطحاب هذا الطفل الوليد معكما لم تكن تتطلب منكما هجره لأكثر من أسابيع أو شهور ينضم بعدها إلى أسرتهما وينعم بالنشأة الطبيعية بينكما ، وتتشابك خيوطه مع خيوطكما منذ الصغر ، أما تركه لمدة ست سنوات كاملة وفى مرحلة بالغة الأهمية فى حياة الطفل فتحدد خلالها معظم سمات تكوينه النفسى الذى يصاحبه غالباً بقية عمره ، فلم يكن اختياراً عادلاً ولا سليماً من الناحية التربوية ، ولم يخفف من الأثر السلبي له محاولتكما تصحيحه بضمه إليكما فيما بعد لأنكما بدلاً من أن تستوعبا استشعاره للغربة بينكما ونفوره العاطفى منكما وتترفقا به إلى أن تنسج الألفة والاعتیاد خيوط المودة والتفاهم بينه وبينكما ، آثرتما اتباع أسلوب « الحسم » معه وهو طفل صغير فى السادسة من

عمره يشعر بأنه قد انتزع من بين أحضان أمه الحقيقية في مصر ، ليعيش بين غرباء لا وقت لديهم ولا استعداد للترفق به إلى أن يالفهم .

وليت هذا الاختيار الخاطيء كان آخر الاختيارات الخاطئة في التعامل مع هذا الابن الأصغر .. فلقد تلاه اختيار آخر لا يقل خطراً عنه وهو اختيارك لعدم التدخل بينه وبين أمه التي أكثرت من إهانته وتجريحه لأتفه الأسباب حتى تحول إلى طفل منطو على نفسه وشديد الهزال لانعدام شهيته للطعام ظاهرياً ولافتقاده الدفء العائلي في حياته في الحقيقة . ولقد تواصلت هذه الاختيارات الخاطئة حتى بلغت قمته في فرض زوجتك لإرادتها على ابنها في نوع الدراسة الجامعية التي التحق بها على الرغم من كراهيته الشديدة لها .. ورغبته في غيرها . فكان التعثر الدراسي وانتهاء مرحلة التفوق من حياته أهون عواقب هذه الاختيارات .. أما أوجعها وأبعدها أثراً على شخصيته وعليكم فهي انفصالة عاطفياً ومعنوياً عنكم .. وتوقعه داخل ذاته واستشعاره للنبذ وعدم الجدارة إلى الحد الذي بلغ به الشك في صحة بنوته لكم !

ولقد كان من الممكن أن تتداركوا الكثير من هذه النتائج السلبية لو كنت قد أثرت ألا تدع كل أمر هذا الابن لوالدته دونك حتى لو كان أسلوب تربيتها قد أثبت نجاحاً عملياً من قبل مع أخويه ، فالحق أن تربية الأبناء ورعايتهم أخلاقياً وتربوياً مسئولية مشتركة بين الأبوين ولا يجوز التفويض فيها لأحدهما بتحمل كامل المسئولية عنها دون الآخر كما فعلت أنت .

كما أن الإشارة الخطيرة إلى قرب وقوع الانفجار كانت كافية أيضاً للإنذار المبكر بالخطر والنهوض لعلاج الأخطاء قبل استفحاليها .. وأقصد بهذه الإشارة سلاح الصمت الذي اعتمده هذا الابن معكم جميعاً منذ سن المراهقة . فإذا كان صمت الأطفال دليلاً أكيداً على تعاستهم لأنه خروج على طبيعتهم المتفائلة والصاخبة ، كما يقول لنا الأديب الروسي الخالد دستويفسكى فى رواية (المساكين) ، فإن صمت الأبناء فى سن المراهقة وبواكير الشباب إشارة مخيفة إلى انفصالهم المعنوى واغترابهم النفسى عن ذويهم وإلى انهيار الجسور التى تصلهم بهم . فالصمت إذا تواصل واستمر ، كما فى مثل ظروف هذا الابن ، هو سلاح المقهور للاحتجاج السلبي عما يعتبره إجحافاً به أو غير مرض له ، وإشارة ابنك إلى طاعته العمياء لكل ما يقوله أبوه وأمه حتى لو لم يتفهما ظروفه ، تأكيد مؤلم لهذا المعنى ، لأن الطاعة العمياء من شيم العبيد الذين يطيعون أوامر سادتهم وهم ينطوون لهم على أسوأ مشاعر القهر وربما الحقد والكراهية وقد لا يتورعون إذا اتاحت لهم الفرصة عن البطش بهم ، لهذا فنحن لا نسعد - كأباء وأمهات - بمثل هذه الطاعة العمياء المقهورة من أبنائنا ، وإنما نسعد بالطاعة الإرادية الحرة القائمة على الفهم والاختناع وتبادل الآراء وتعبير الأبناء عن أنفسهم ورغباتهم الحقيقية بحرية .

وعلماء النفس يقولون لنا إنه لا يبدع أبداً مَنْ يعتاد الطاعة العمياء والرضوخ الكامل والإذعان التام لما يقوله الكبار من حوله ، لهذا فلم يكن مستغرباً ألا « يبدع » ابنك فى دراسته

التي أرغم عليها ، وبدلاً من التماس العذر له والصبر عليه حتى ينهى دراسته بسلام انطلقت عليه سهام التجريح والإهانة حتى بلغ السيل الزبى .. وانفجر البركان المكتوم في أعماقه .

لهذا ، فإنني أقول لك في النهاية إنك وزوجتك وابنيك الآخرين المتباعدين عن هذا الابن مسئولون جميعاً عما يعانيه من تعثره الدراسي وعزلته واكتئابه وصمته .. وافتقاده الإحساس بالجدارة والانتماء إليكم ، ومطالبون جميعاً باستعادته إلى أحضانكم والتعامل مع معاناته باحترام وفهم وليس باتهامه بالتدلل أو التمرد ، فهو شاب طيب وسيء الحظ ويحتاج إلى ترفقكم به وإشعاره بعطفكم وحنانكم وليس إلى مزيد من الإهانة والتجريح والقسوة .. وإلا تفاقت العواقب .

## الذكرى الغالية !

أنا سيدة فى السادسة والعشرين من عمرى ، نشأت بإحدى مدن الأقاليم فى أسرة متوسطة الحال ، بين أب وأم و٤ أشقاء ، وكغبرى من البنات حلمت مع مطلع الشباب بالفارس الذى سيفزو قلبى فى الوقت المناسب .. وأتشبت به .. ونقيم معاً عشنا الصغير. وأنهيت دراستى .. فجاء الفارس .. ولم أكن قد رأيتـه قبل ذلك سوى بضع مرات فى مناسبات متفرقة بالرغم من قرابته لى ، فلقد شق طريقه مع أسرته فى مدينة أخرى غير مدينتنا وعمل بالتجارة ونجحت تجارته ، ثم أراد أن يبحث عن نصفه الآخر فرجع إلى مدينته الأصلية ، وقاده النصيب المكتوب إلى . وما أن تقدم إلى طالباً يدى .. حتى تغيرت نظرتى السابقة إليه من مجرد قريب اسمع عن نجاحه فى الحياة العملية ونبوغه المبكر وأصبحت أراه بعين مختلفة ويخفق قلبى واضطرب حين يتحدث إلى ..

ووسط فرحة أهل على الجانبين بارتباطنا .. تمت خطبتى إليه.. ولاحظت خلال مرحلة الخطبة سعادة إخوته الكبيرة بى ثم مضت الأمور فى طريقها الطبيعى .. وتم إعداد عش الزوجية فى سرعة قياسية وعلى أحسن مستوى .. وكلما تأخر إعداد شىء من الجهاز . ألح أهل زوجى بالإسراع بالانتهاء منه فى أقرب وقت ..

وسعدت بتعجلهم إتمام الزواج على هذا النحو واعتبرته نوعاً من الترحيب الحار بى ، وتم الزواج فى حفل سعيد .. وانتقلت إلى بيت الزوجية الجديد فى المدينة التى تقيم بها أسرة زوجى ، ومضت الفترة الأولى من الزواج سعيدة ومبهجة وواعدة بكل خير. ولم تمض أسابيع حتى كانت ثمرة الحب قد تحركت فى أحشائى .. وبدأت مرحلة جديدة من متاعب العمل اللذيذة فى حياتى وزاد من سعادتى ابتهاج إخوة زوجى الكبير بخبر حملى وحفاوتهم الزائدة به ، ولم يخفف من الفرحة بعض الشئ سوى تعرض زوجى لوعكة صحية طارئة تردد بسببها على الأطباء ، وانتظم فى العلاج وتحسنت حالته ورجعت الأحوال إلى طبيعتها السابقة .. ثم جاء موعد ولادتى ووضعتم طفلاتى الجميلة .. وبدأنا نستعد للاحتفال بيوم « سبوعها » .. واحتفلنا بالمولودة السعيدة احتفالاً كبيراً .. وفى المساء عاودت الوعة الصحية زوجى الشاب وكانت شديدة بعض الشئ هذه المرة .. فتكدت وشعرت بالحزن من أجله .. وفى صباح اليوم التالى غادر مع إخوته مدينتنا ليعرض نفسه على طبيب كبير فى الإسكندرية ، ورجع من الرحلة منهكاً ومهموماً وسألت أشقاء زوجى عما قاله الطبيب . فهونوا على الأمر وقالوا إنها مجرد نزلة قولونية بسيطة وسوف يشفى بالأدوية بإذن الله .. فاطمأن قلبى وبذلت جهدى لرعاية زوجى وخدمته خلال هذه الوعة .. لكن كثرة الأدوية التى يتناولها أثارت قلقى .. فأردت أن أطرد القلق والوساوس من ذهنى .. وفتحت إحدى علب الأدوية لأقرأ النشرة الطبية الخاصة بها وأعرف المزيد عن حالته الصحية ، فإذا بى أجدها خالية منها .. ففتحت بقية العلب ، فإذا بها كلها خالية من هذه النشرات ..



وتحسنت صحة زوجى بعض الشيء ورجع إلى عمله .. لكنه انتكس مرة أخرى واضطر للسفر للقاهرة لطلب العلاج لدى أطبائها .. وبعد ذلك كثر تردده على أطباء القاهرة وعودته من السفر مرهقاً ومهموماً .. وفى كل مرة لا يسمح لى بمصاحبته فى السفر ويصطحب معه أحد إخوته دونى .

ومضت بنا الحياة وحالة زوجى الصحية تتحسن فى بعض الأوقات ، فيرجع إلى عمله وتغرد عصافير السعادة فى بيتنا الصغير .. وتسوء فى أوقات أخرى ، فيخيم الحزن والهم والقلق على حياتى .. إلى أن فوجئت بعد عامين من زواجى بدخوله المستشفى لإجراء جراحة تتطلبها حالته .. وأجريت له الجراحة ورجع إلى البيت بعدها معظم الوقت يدير عمله التجارى بالتليفون .. ويستقبل المتعاملين معه فى بعض الأحيان وهو فى فراشه .. وأنا أقوم على خدمته والسهر على راحته .. وأتطلع لليوم القريب الذى سيسترد فيه عافيته ..

لكن الآمال قد لا تتحقق لمن يتعلق بها فى كثير من الأحيان ، فلقد ازداد ضعفه وتوالت الأزمات الشديدة عليه .. وإذا به بعد ستة أشهر من جراحته يلفظ أنفاسه الأخيرة .. ويودع الحياة تاركاً وراءه أرملة فى أوائل العشرينيات من عمرها وطفلة لم تكمل عامها الثالث !

وإذا بى اكتشف يوم رحيله عن الدنيا أنه كان مريضاً بالمرض الخطير من قبل أن يتزوجنى ، وأسمع من بين دموعى ونواحى خلال أيام العزاء والمواساة بعض إخوته يتحدثون عن نجاحهم فى إخفاء حقيقة مرضه عن الجميع طوال السنوات الماضية .. بل وعن

« اعتزازهم » بأنهم قد أفلحوا فى أن تكون لهم منه « ذكرى غالية » هى طفلة !

وتساءلت فى أعماقى : ألم يكن من حقى أن أعرف حقيقة مرض زوجى قبل الارتباط به كى اختار لنفسى طريقى فى الحياة على بينة ؟

أو لم يكن من حقى ولو بعد أن تزوجت منه أن أعرف ماذا يواجهه زوجى ووالد طفلى من متاعب صحية ؟

لقد أسودت الدنيا فى وجهى .. وفهمت لأول مرة لماذا كانت علب الأدوية كلها خالية من نشراتها .. وامتثلت لأقدارى وآملت فى أن تعوضنى ابنتى عن السعادة التى وئدت فى مهدها . لكن أحوال الدنيا لم تسمح لى حتى بذلك العزاء ، فلقد بدأت متاعبى مع إخوة زوجى حول ميراثه ، وخاصة بعد أن استكتبنى أحدهم توكيلاً له لإدارة تجارة شقيقه ولم تفلح أى محاولة على المستوى العائلى لحل مشكلات نصيبى ونصيب ابنتى فى ميراث زوجى الراحل ، وكان الحل المقترح من جانب أسرته هو أن يأخذوا طفلى منى لى تنشأ بينهم ويتكفلوا برعايتها .. ورفضت هذا الحل الظالم نهائياً .. ورجعت بفستانى الأسود وطفلى اليتيمة لأعيش فى كنف أبى بالرغم من قلة رزقه ، وعرفت بعد عودتى الحسيرة أن إخوة زوجى قد اقتسموا شقة الزوجية بينهم وبدأوا فى بيع أجزاء من تركة زوجى ، وامتنعوا عن سداد أقساط التأمينات بحجة وقف النشاط التجارى ، وذلك بهدف حرمانى من معاش التأمينات المستحق لى عن زوجى ، حتى أضعف وأسلم باليأس وأسلمهم ابنتى .

إننى أكتب هذه الرسالة لتحذير أصحاب النية الحسنة من غدر

الأحباب ، وأيضاً عسى أن تقوم وزارة التأمينات بتسوية وضع زوجى الراحل ومنحى المعاش المستحق عنه لكى أرعى طفلتى به إلى جانب ما تسهم به أسرتى فى ذلك ، فهل تستطيع مساعدتى فى ذلك ؟

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

لو كان إخوة زوجك الراحل « يعتزون » حقاً « بالذكرى الغالية » التى خلفها وراءه شقيقهم ، لفرض عليهم هذا الاعتزاز أن يوفروا لها الظروف المثلى لنشأتها فى أحضان أمها إلى أن يشهد عودها ، ولجنّبوا أرملته أخيهم خوض المعارك لانتزاع حقها وحق طفلتها المشروع فى ميراث أبيها .. ولأحاطوهم معاً بالرعاية الكاملة ووفروا لهما الحياة الكريمة سواء فى مدينتهم أو مدينتها .. بما يترتب لهما من حقوق الإرث فى تركة أخيهم .

أما أن يحاولوا انتزاع الطفلة الصغيرة من أحضان أمها بدعوى تنشئتها ورعايتها فى كفالتهم ، ويضغطوا على الأم بحرمانها وحرمان هذه الطفلة نفسها من حقوقهما المشروعة فى الميراث ، فليس ذلك من الاعتزاز الحقيقى بذكرى شقيقهم الراحل ، ولا بامتداده فى الحياة الذى تمثله الآن هذه الطفلة الحائرة فى شىء .

ومن المؤسف حقاً أننا فى تسابقنا المحموم على أعراض الدنيا كثيراً ما نخدش جلال المواقف الحزينة التى ينبغى أن نتوقف فيها الصراعات والأطماع ثم نزعج بعد ذلك وفاءنا لذكرى الأعراء الراحلين .. ونحزن لفراقهم .. ونذرف الدمع فى مناسبات تذكرهم !

وذلك بدلاً من أن نتعلم من عبرة الموت ما يجعلنا أكثر عدلاً مع الحياة ، إننى أؤيدك تماماً فى عدم خضوعك لهذا الضغط المادى عليك لكى تسلمى طفلك لإخوة زوجك الراحل .. فحضانة الصغير فى المرحلة الأولى من عمره حق للأم قبل غيرها ثم لمحارمه من النساء من بعدها ، ثم لمحارمه من الرجال من بعدهن .

ولقد حسم هذا الأمر بالهدى النبوى الحكيم حين جاءت امرأة إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فقالت : يا رسول الله إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء وحجرى له حواء وثدى له سقاء ، وأن أباه طلقنى ويزعم أنه ينتزعه منى . فقال لها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .. « أنت أحق به ما لم تتزوجى » .

كما حكم الصديق أبو بكر رضى الله عنه بين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومطلقة الأنصارية فى مسألة حضانة ابنها عاصم فقال له أبو بكر : « ريحها ومسها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك » .

وقد كان عمر أباه ، فما بالك بالأعمام الذين يسعون لحرمان أرملة أخيه من حقها المشروع فى ميراث زوجها .. ويحجبون حق طفلة الصغيرة نفسها فى إرثه لكىلا تستفيد بشيء منه أمها ؟

إن الأم التى تتهلل للتخلى عن وليدها الصغير ، بمثل هذه السهولة إنما تكرر نموذج الضفادع التى تضع بيضها فى المستنقع ثم تترك صغارها تكافح بمفردها للبقاء والنجاة من الأعداء الطبيعية لها .

وليس ذلك مما يشرف أى أم .. وما ينبغى له أن يكون من « مؤهلات » الرضا عنها لدى أهل الزوج أو من أسباب « تساهلهم » معها للحصول على بعض حقها المشروع لديهم فى ميراث زوجها ، بل ينبغى له أن يكون من أسباب غضبهم عليها وسقوط اعتبارها فى نظرهم .

فعلى أى شىء إذن ينازعك هؤلاء الإخوة « المعتزون » بذكرى أخيهام الغالية ؟

وأى « فخر » فى أن يتكتموا حقيقة الحالة الصحية لأخيهم وهم يتقدمون معه لخطبة فتاة صغيرة تحلم بحقها العادل فى السعادة ؟

وأى عدل فى أن يحجبوا عنها هذه الحقيقة المؤلمة نفسها حتى بعد أن شاركت أخاهم حياته وارتبط مصيرها بمصيره؟

وأى « عزاء » هذا الذى يقدمونه لها عن استدراجها للارتباط بشقيقهم بغير مكاشفتها بحقيقة حالته الصحية ، وترك حق الاختيار لها ، فلا يكون تكفيرهم عن هذا الجرم الأخلاقى تجاهها سوى محاولة انتزاع طفلتها منها أو حرمانها هى وطفلتها من كل حق لهما فى ميراث شقيقهم ؟

إننى أطالبك بالتمسك بحضانتك لطفلتك .. وبحقها وحقك فى ميراث أبيها ، واستخدام كل الوسائل القانونية الممكنة لانتزاع الحقوق ممن يرفض ردها ، أما طلبك بشأن معاش التأمينات الخاص بزواجك الراحل، فإننى أضعه أمام السيد رئيس الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية .. وآمل فى اهتمامه ببحث أمرك وتذليل الصعوبات التى تحول دون نيلك لحقك .

## الزيارة المفاجئة !

أكتب إليك لأستشيرك فيما يشغل فكري الآن ويقضى مضجعي .. فأنا سيدة في الخمسين من عمري ، عشت حياتي الزوجية في سلام مع زوجي إلى أن اختاره الله إلى جواره قبل سنوات قليلة ، وقد تجاوزت صدمة رحيله عن الحياة بالصبر والإيمان ، وشكرت ربي على ما وهبني من نعمة الأبناء والحياة الهادئة ، وسعدت بزواج ابنتي الكبرى وسفرها مع زوجها إلى الخارج ، وبتخرج ابني الآخر وعمله بوظيفة جيدة وشعرت بأن رسالتي في الحياة قد أوشكت على التمام ، حيث لم تبق أمامي سوى الابنة الصغرى التي تدرس الثانوية العامة ، فوجهت لها كل اهتمامي وحرصت على توفير الجو الملائم لها ، وأدت امتحانها وظهرت نتيجته، فكان مجموعها أقل من أن يسمح لها بالالتحاق بالكلية التي ترغبها في مدينتنا .. ورشحها مجموعها للالتحاق بكلية مناظرة ولكن في إحدى جامعات الجنوب .. فواجهت الخيار الصعب بين أن أحرمها من الالتحاق بكليتها المرغوبة مع ما في ذلك من متاعب اغترابها بعيدة عني وقلقي عليها من الغربة .. وبعد تفكير طويل شاركني فيه الأبناء ، استقر الرأي على ألا أحرمها من رغبتها في الدراسة التي تفضلها وأن تسافر للإقامة في عاصمة

المحافظة التى تقع بها الجامعة على أن تقيم مع بعض زميلاتهما كما تفعل فتيات أخريات فى مثل ظروفها ، وسعدت ابنتى بهذا القرار ، وبدأت تستعد للمرحلة الجديدة فى حياتها .. وجاء موعد سفرها للدراسة .. فأعددت لها كل ما تحتاج إليه فى غربتها وزودتها بنصائح الأمهات فى مثل هذه الظروف وأوصيتها بالأخلاق الحميدة والملابس المحتشمة ومصادقة الفاضلات من زميلاتهما دون غيرهن ، وسافرت ابنتى مودعة منى بالدموع حيث إنه أول فراق بينى وبينها منذ ولادتها ، وسافر معها أخوها إلى عاصمة المحافظة .. وبحث لها عن سكن مشترك مع بعض زميلاتهما وترك أخته بين زميلات السكن وفى رعاية صاحب البيت الذى يؤجر شققه للطالبات المغتربات فى مدينته ، ورجع ابنى فطمأن قلبى الملهوف وأكد لى أن إقامة طالبات هذه الجامعة المغتربات فى شقق سكنية مع زميلاتهن أمر منتشر فى هذه العاصمة ، وأن أصحاب المنازل التى تؤجر للطالبات يتعهدونهن بالرعاية ويحرصون على سمعة منازلهم .. واطمأن قلبى بعض الشيء ومضت شهور الفصل الدراسى الأول ثقيلة وبطيئة ، ورجعت ابنتى فى أول إجازة لها فاستقبلتها بالأحضان والقبلات والدموع .. ووجدتها كما عهدتها من قبل هادئة ومحتشمة فى مظهرها وإن كانت قد اكتسبت من غربتها بعض الجدية والاعتماد على النفس ، وانقضت فترة الإجازة سريعاً ورجعت لاستكمال الفصل الدراسى الثانى .. وتكرر مشهد الوداع والبكاء ، ودعوت لها الله سبحانه وتعالى أن يحميها من كل سوء ، ثم انتهى الامتحان ورجعت ابنتى فى إجازة الصيف ، فلمست هذه المرة اختلافاً كبيراً فى شخصيتها .. فلقد وجدتتها ترتدى البنطلونات الضيقة « والبودى » وغير ذلك من

الملابس الشبابية .. وناقشتها فى ذلك وطالبتها بالعودة للملابس المحتشمة التى كانت ترتديها من قبل، فأجابتنى بأن هذا هو الشائع الآن فى الجامعة وأنها لن تكون « متخلفة » عن زميلاتنا ! وكررت معها المحاولة ونصحتها كثيراً وتشاجرت معها دون جدوى ، فاستعنت عليها بشقيقتها الذى تحدث معها طويلاً ثم رجع إلى يطمئننى على أخته ويؤكد لى أنه لا خوف عليها لأنها جادة وملتزمة .

وعادت ابنتى إلى كليتها .. ومن هناك أرسلت إلى تطلب نقوداً إضافية لحاجتها إلى دورات دراسية ، وأرسلت إليها ما طلبته ، ثم تصادف أن زارتنى صديقة لها تدرس معها بالكلية نفسها ، وكانت ابنتى قد أبلغتنى أنها تتلقى معها هذه الدورات، فسألتها عن نظامها وجدواها .. واكتشفت من خلال حديثها أنها خالية الذهن عن هذا الموضوع نهائياً وأنها لا تتلقى مع ابنتى أية دورات دراسية !

وكتمت دهشتى عن هذه الصديقة .. وافترسنى القلق والشك فى ابنتى ، فقررت أن أريح نفسى من هذا العذاب بالسفر إلى المدينة التى تقيم بها والاطمئنان على أحوالها هناك فى سكنها وكليتها ، وركبت القطار بغير أن أبلغ ابنتى مسبقاً بزيارتى لها .. ووصلت إلى عاصمة المحافظة فى الظهر واهتديت إلى المسكن الذى تقيم فيه مع زميلاتنا .. وطرقت الباب ، فاستقبلتنى صديقاتها ورحبن بى ولم أجد ابنتى معهن ، فجلست أنتظر عودتها ، ودخلت إلى غرفتها ورتبت ملابسها وأشياءها ..

وقلبت فى بعض أوراقها .. فإذا بى أجد خطاباً بخط يدها إلى شخص لا أعرفه تدعوه فيه بـ « زوجى العزيز » وتحدد له موعداً



لللقاء فى المسكن عقب سفر زميلاتهن إلى أسرهن !.. وصعقت لما قرأته وشعرت بما يشبه الدوخة ، فتمددت على الفراش لبعض الوقت لكى أحاول تمالك نفسى وانفجرت فى البكاء وحدى فى الغرفة المغلقة .. وأخفيت دموعى عن زميلات السكن إلى أن رجعت ابنتى فى المساء وفوجئت بوجودى فى غرفتها .. وفوجئت أكثر من ذلك بسؤالى لها مَنْ هذا الشخص الذى تدعوه « زوجها العزيز » وتوقعت أن تنكر كل شىء .. وتكذب ظنونى ومخاوفى .. ففوجئت بها تقول لى فى هدوء إنها « متزوجة » بالفعل من هذا الشخص عرفياً .. وأنه يكبرها بعامين وأنها لم ترتكب حراماً .. بل إن هذا هو « السائد » الآن .. وأنهما متفقان على أن كلا منهما يستطيع أن يتخلص من الآخر فى أى وقت يشاء فيه ذلك !!

ثم تركتني واتجهت للمطبخ لتحضير العشاء وكأن شيئاً لم يكن ! وتجمدت أنا فى موقفى كأنما قد أصابنى الشلل فى جسمى، وفى عقلى ، وحين رجعت بعد قليل كنت قد تمالكت نفسى ، فانفجرت فيها وانهلت عليها ضرباً وركلاً وصراخاً، فأسرعت بالفرار إلى الحمام وأغلقتة على نفسها من الداخل واعتصمت به رافضة الخروج منه حتى الصباح .

أما ما حدث لى بعد ذلك، فأنا لا أذكر منه سوى أننى أغمى على أكثر من مرة ..

والآن يا سيدى، فإننى حائرة فى أمرى وأمر ابنتى ولا أدرى ماذا أفعل معها وبها ، فلقد تكتمت قصتها حتى الآن عن أختها وأخيها وكل أهلى ، ولا أدرى ماذا سيفعلون معها إذا عرفوا بما حدث .. فهل أقوم بإبلاغهم بما كان من أمرها أم أواصل تكتمه ومعاناته وحدى .. وهل أرغمها على ترك هذا الشاب وترك كليتها

كلها والعودة لمدينتي والالتحاق بأى كلية فيها أم ماذا أفعل ..؟  
وأين الخلل يا سيدي الذي أدى بنا إلى هذا الوضع الخطير ..  
هل هو في تربيتي وتربية زوجي الراحل لها ؟  
لقد أخذناها في تربيتنا لها بالحزم والحنان معاً .. فكيف تسفر  
مثل هذه التربية عن هذه الكارثة يا سيدي !

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

أبشع من ارتكاب الخطأ ألا يشعر مقتطفه بأنه قد أتى أمراً  
إذاً يستوجب الحساب والعقاب ، فضلاً عن الرجوع عنه . ذلك  
أن الإقرار بالخطأ هو الخطوة الأولى على طريق الرجوع عنه  
وتقويمه .. أما التعامل معه وكأنه من طبائع الأمور وبدهيات  
الحياة .. فلا يكشف إلا عن خلل خطير في القيم والمفاهيم لدى  
مرتكبه لا يبشر بأى أمل قريب في إمكان رجوعه عنه .  
والإنسان السوى قد يضل الطريق في بعض الأحيان لكنه  
يظل واعياً دائماً بما اقتترف ولا يجادل في خطأ ما فعل ، حتى  
لو حاول تبريره والتماس العذر لنفسه فيه بضعفه أمامه ، أو  
بغير ذلك من المبررات ..

أما مَنْ يرتكب أفدح الأخطاء ولا يراوده في الوقت نفسه أى  
إحساس بخطأ ما فعل ، فإنه يضيف إلى أخطاء السلوك ،  
انحراف التفكير واهتزاز القيم .. وفساد المنطق ، وضعف الأمل  
في إصلاحه ورجوعه من خطئه ، فضلاً عن فجر المجاهرين  
بالخطأ الذين أرشدنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه  
إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يحبهم ، وقد يترفق بالمخطيء  
على استحياء .. ويضاعف العقاب لمن لا حياء له .

وإحساس ابنتك بأنها لم تقترف « حراماً » بمثل هذا الزواج

العرفى الذى ارتبطت به بغير إذن أوليائها .. يكشف فى الحقيقة عن انحراف فى القيم أفدح من الخطأ الذى ارتكبته نفسه .

فالزواج العرفى الذى يستوفى كل شروطه وأركانه إذا كان صحيحاً شرعاً ، فإن إقدام فتاة صغيرة على الارتباط بشاب تحت مسمى الزواج العرفى بعيداً عن نطاق الأهل .. وبغير علمهم .. وموافقهم هو خطأ أخلاقى فادح يتنافى مع كل القيم والأعراف العائلية والأخلاقية .. ولا يمكن الدفاع عنه أبداً بأن مرتكبه لم يقترب « حراماً » أو بأن هذا هو « السائد » فى الجامعة كما تزعم ابنتك .

بل ولا يمكن تبريره أو تفسيره إلا بالطيش والاندفاع والاستسلام للأهواء والرغبات .. وخيانة ثقة الأهل .. وافتقار التقدير الصحيح للمسئولية الأخلاقية للإنسان تجاه نفسه وأعرائه ومن يهتمون بأمره ، فنحن لا نعرف كيف تم هذا « الزواج » العرفى المزعوم بين ابنتك وهذا الشاب ، وهل استوفى شروطه وأركانه وتم الإشهاد عليه أم لا ؟ وهل تم بنية الاستمرار وتحويله إلى زواج رسمى فى المستقبل القريب . أم بنية التمتع المؤقت خلال مرحلة الدراسة والاعتراب كما يوحى بذلك « اتفاق » طرفيه على أن يتخلصا منه إذا شاء أحدهما ذلك فى أى وقت !

لكننا نعرف بكل تأكيد أن الزواج العرفى الذى يفتقد الإشهار ونية الاستمرار باطل باتفاق مذاهب أهل السنة . وأن الظروف المحيطة بالقصة كلها لا توحى بفهم طرفيه لقدسية الزواج واستمراريته وتكفى سرية هذا الزواج وإتمامه بعيداً

عن نطاق الأهل لكى تحيط به الشبهات وتخرجه من نطاق الزواج المشروع إلى نطاق آخر لا يختلف كثيراً عن نطاق العلاقة السرية المتشحة برداء زائف من المشروعية !

وإنى أرى لك يا سيدتى ألا تتحملى كل هذا العناء وحدك . بل تشركى معك فيه ابنك الأكبر وابنتك المتزوجة ، على أن تبدئى خطواتك لإصلاح ما فسد بدراسة وضع ابنتك الحالى بعد هذا الزواج المزعوم ، فإذا كان قد سبق السيف العزل ولم يعد هناك ما يرجى سوى تصحيح الخطأ وإسباغ الشرعية الحقيقية عليه ، فإن من واجبك كأم أن تسعى مع ابنك إلى أهل هذا الفتى وتطالبهم بتحمل مسئولية ما اقترف ابنهم فى حق ابنتك ، ومساعدتك على تحويل هذا الارتباط العرفى الشائن إلى زواج صحيح مشروع ، وذلك بعقد قرانه على ابنتك واعتبارهما خطيبين ينتظران انتهاء الدراسة لبدء رحلة الزواج الحقيقية .

أما إذا كان الأمر غير ذلك ، فإن هذه الظروف الشائكة تتطلب منك أن تلازمى ابنتك حيث تقيم ، وتفرضى عليها رقابتك وإشرافك إلى أن تمضى الفترة المتبقية من العام الدراسى فى سلام ، على أن تحاولى خلال ذلك اختبار مدى جدية ابنتك فى التمسك بهذا الشاب وعمق رغبتها فيه ، وظروف هذا الشاب نفسه وصدق رغبته فى الارتباط بابنتك ، فإذا اطمأن قلبك إلى جديته وأمانته وصدق رغبته فى ابنتك ، فليتقدم مع أهله لخطبتها منك .. مع تخلصهما فى نفس الوقت من هذا الزواج المريب .

أما إذا تكشف لك التجربة عن عبث هذا الشاب وعدم

جديته ، فإن خير ما تفعلينه هو أن ترجعى مع ابنتك عقب أدائها امتحان هذا العام إلى مدينتك وتفرضى عليها الانتقال من هذه الكلية إلى أية كلية أخرى مناظرة أو غير مناظرة لكي تكون تحت أنظارك وحتى تبرأ من آثار هذه النزوة المدمرة وتثوب إلى رشدها .. وتذكر أن إنقاذها من الضياع أهم كثيراً من نوع الدراسة التى تهواها أو العمل الذى ترغب فى ممارسته بعد التخرج ، فهى لم تغترب من الأصل لكي تنخرط فى علاقة سرية مؤقتة تتسربل بقناع الزواج العرفى مع شاب عابث وإنما لكي تحقق أهدافها فى الحياة ولقد أجمت فى حق نفسها وأسررتها حين غفلت عن الهدف الأساسى من اغترابها وتورطت فيما تورطت فيه ، ومن واجبها أن ترضى بدفع الثمن العادل لما اقترفت من أخطاء فادحة حتى لو اقتضى ذلك تغيير مسارها فى الدراسة والحياة !

## درجات الرأفة ١

أنا رجل فى الثامنة والثلاثين من عمرى أعمل عملاً مهنيًا مرموقاً ولدى مكتب خاص ، هادئ الطباع وطيب القلب ومن أسرة متوسطة الحال لكن لها تراثها فى الأخلاق والتربية والأصل الكريم .. ولقد تعرفت ذات يوم على زميلة لى فى مجال عملى ورشحها الزملاء لى للزواج .. ووجدتها مناسبة لى ، فتقدمت لخطبتها وتم عقد القران وتزوجنا . وبعد الزواج تكشفت لى شخصيتها الحقيقية، فإذا بها إنسانة حادة الطباع، سليطة اللسان، قبيحة الألفاظ .. وحاولت كثيراً إصلاحها وخاصة بعد أن رزقنا الله طفلة جميلة ولكن دون جدوى فاستسلمت لأقدارى ، ورضيت بحياتى كما هى واستمر زواجنا ثمانى سنوات لم نعش خلالها معاً أكثر من بضعة شهور فى مجموعها .. أما بقية الأيام فلقد هجرتنى خلالها وأقامت فى بيت أهلها على فترات متقطعة ، وفى آخر مرات هجرها لبيت الزوجية طلبت الطلاق وأصرت عليه وحاولت بكل ما أملك من حيلة استعادتها مرة أخرى ، وحاول معى الأهل جاهدين ذلك لكنها تمسكت بمطلبها ، ولم أجد مفراً من إجابتها إليه ، فطلقتها منذ عامين وأنا حزين لفشلى فى حياتى الزوجية ، ونشأة طفلتى الوحيدة بعيداً عنى .. وزاد من أسفى

أننى علمت بعد طلاقى لها أنها حامل فى جنين آخر ، وبعد شهور أنجبت طفلة أخرى .

أما أنا قد سلمت أمرى إلى الله وعشت حياتى فى كنف أسرتى ، وحاولت نسيان مرارة التجربة والتعزى عنها .. وذات يوم دخلت مكتبى سيدة جميلة هادئة الطباع مع طفل لها فى عمل يتعلق بها . فأديت العمل المطلوب منى لكنى وجدت نفسى منجذباً إلى هذه السيدة بإحساس غامض وخلال ممارستى لعملى تبادلنا معها أطراف الحديث ، فعلمت منها أنها أرملة وأن عمرها ثلاثة وثلاثون عاماً ولها طفل آخر أكبر من الطفل الذى اصطحبته معها بعامين وشعرت بالرغبة فى أن أراها مرة أخرى ، فاصطعنت سبباً لتكرار الزيارة وطلبت منها العودة مرة أخرى بعد أسبوع لإتمام العمل الذى جاءت من أجله وانصرفت هى شاكراً ، وترقبت عودتها باهتمام شديد وفى الموعد المحدد جاءت من جديد ، فشعرت بالسعادة داخلى .. وبقلبى يخفق فى صدرى كالمراهقين .. وتجاوزت معها أطراف الحديث ، فاسترحت لحديثها العذب وأسلوبها الجميل وطبيعتها الهادئة وجمالها وأناقته واحترامها لنفسها ولمن حولها ، تبادلنا أرقام التليفونات ، وبدأت المكالمات التليفونية بيننا وبعد فترة من الاتصالات اعترف كل منا بحبه للطرف الآخر ، ووجدت هى نفسها معى ووجدت أنا نفسى معها ولمست لديها الحب والتفاهم والثقة بالنفس .. وكل شىء جميل فى الحياة إلى جانب أنها إنسانة مثقفة ولها مركز مرموق فى عملها ، واتفقنا على الزواج .. وبدأت الاستعداد له ، فإذا بى أجد نفسى أمام خيار صعب لم يكن فى تقديرى قبل ذلك ، فلقد علمت مطلقتي وأم الطفلتين بنيتى فى الزواج ، فبعثت بمندوبين من أهلها

للصلح .. وجاءت هي نفسها إلى أسرتي فرحبت بها الأسرة وبدأ أهلي يحثونني على إعادتها إلى عصمتي لكي تنشأ الطفلتان بين أحضاني ، وفي الوقت نفسه تغيرت معاملة أسرتي للسيدة الأخرى عند اتصالها بي بالتليفون في البيت وبدأت تشكو لي من تحفظ الأهل أو جفائهم معها حين يجيبون عن مكالماتها .

وأنا الآن حائر فيما أفعل ، فلقد كرهت عشرة زوجتي السابقة بسبب مرارة تجربتي معها ، لكنني لا أحب في الوقت نفسه أن أظلم الطفلتين وأحرمهما من حقهما في الحياة مع أبيهما ، ولو ترك لي الأمر لاخترت أن أعيش مع هذه السيدة الأرملة التي أحبها جداً ولا أطيق فراقها ومعنا طفلاها والطفلتان ونحيا معا كلنا في سعادة ، لكنني أدرك استحالة تحقيق ذلك في ظل قانون الأحوال الشخصية الذي يعطى حق حضانة الطفلتين لأمهما .. فكيف أواجه هذا المعادلة الصعبة . وأي خيار أختاره !

### ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أنت محق بالفعل يا سيدي في ترددك واضطرابك أمام ما تواجهه الآن من اختيار لحياتك وأيامك المقبلة .. ذلك أنه اختيار بين « وعد بالسعادة » مع هذه الأرملة الشابة التي تعرفت عليها بعد عامين من انفصالك عن زوجتك السابقة ، وبين « وعد بالأمان والاستقرار » لطفلتين صغيرتين يدعوك ضميرك الأخلاقي للوفاء لهما به حتى لو تخوفت من تكرار التجربة المريرة التي عانيت منها من قبل .

وكلما كانت الخيارات التي يتردد بينها المرء عادلة ومشروعة ، ازدادت حيرته معها .

غير أن نداء العقل يطالبنا في كل الأحوال بالتروى قبل



ترجيح بعض هذه الخيارات على بعضها الآخر . وتجربة العمر تقول لنا إنه لا تأكيد لشيء في الزواج الذي لم تنعقد عراه بعد إلا بالتجربة الفعلية والمعايشة المشتركة واختبار الأيام لصدق الوعود والأحلام الوردية بالسعادة مع شركاء الحياة ، وعلى هذا الأساس أقول لك إن الوعد بالسعادة مع هذه الأرملة الشابة يظل وعداً معلقاً إلى أن تختبره الأيام وتحققه على أرض الواقع . كما أن الاختيار العاطفي في مثل ظروفك هذه وإن كان له ما يؤيده من مبررات ودوافع .. إلا أنه لن يكون خالياً من النواقص والمكدرات لافتقارك لطفلتك وإحساسك بالذنب تجاههما لحرمانهما من حق النشأة الطبيعية بين أبوين يجمعهما بيت واحد .

أما على الجانب الآخر الخاص بزواجك السابقة ومعاناتك القديمة معها ، فإن توجسك من تكرار التجربة المريرة معها . له أيضاً ما يبرره وما قد يدفعك لترجيح الاختيار العاطفي على قبول مساعيها للعودة إليك ، لكنه ليس من المؤكد أيضاً أن تكرر مطلقتك تجربتها السابقة معك بنفس أخطائها وعثراتها وإلا فما قيمة التجربة والخطأ إذن إذا لم تكن قد استفادت شيئاً من فشلها معك وحرمان طفلتها من أبيهما ، ومجئ طفلتها الصغرى إلى الحياة في غيبة أبيها ؟

لقد استشعرت الخطر حين علمت بنيتك في الزواج ، فسعت إليك هي هذه المرة طالبة العودة إليك ، ولا بد أن يكون ذلك مؤشراً إيجابياً على تغير بعض أفكارها وملامح شخصيتها ، وإلا لما تنازلت عن كبريائها السابقة وسعت إليك وقد كانت هي التي رفضت من قبل كل محاولات الصلح وأصرت على الطلاق .

ومعنى ذلك أنك أمام « وعدين » كل منهما غير مؤكد حتى الآن وإن أوحى شواهد به غير ذلك .. الأول بالسعادة مع أرملة شابة جميلة وهادئة صادفتك وأنت فى فترة من الضعف النفسى وفقد الثقة فى النفس والإحساس بالوحدة عقب مرارة الفشل فى الزواج ، والثانى بالتعاسة وتكرار المعاناة لدى مطلقتك مع توافر الحد الأدنى من الأمان والاستقرار لطفلتك ، ولأن الإنسان لا يستطيع للأسف أن يخضع المستقبل للتجربة لكى يختار لنفسه طريقه فيه على ضوء نتائج الاختبار فلا مفر أمامه من دراسة الواقع ومحاولة استقرار المستقبل على ضوء ما يتاح له من شواهد وعلامات الطريق ، وأول ما ينبغى لك أن تتبصره جيداً قبل اتخاذ أى قرار هو : هل اختيارك العاطفى لهذه الأرملة الشابة هو اختيار نهائى لا رجعة فيه ولا مبدل له أم أنه اختيار « للأفضل » مع إمكان القبول « بالمفضول » إذا رجحته اعتبارات أخرى جلية الشأن كسعادة الأبناء واستقرارهم وخلو القلب من الإحساس بالذنب تجاههم ؟

وهل هذه العاطفة التى تحملها لهذه الأرملة الشابة عاطفة حقيقية راسخة وثابتة ثبوت الجنادل لتيارات المياه ، أم أنها عاطفة عابرة صادفت قلباً خالياً ونفساً جريحة ، فوجدت الطريق ممهداً أمامها بلا عناء ؟

وهل تستطيع أن تجزم صادقاً بأن زوجتك السابقة لم تستوعب دروس تجربتها الفاشلة معك ولم تتخلص بالفعل من بعض ما أنكرته عليها خلالها ؟ .. وبالتالى ، فإنك تستطيع استئناف الحياة معها .. وتجاوز صفحتها القديمة معك ؟

إنك وحدك مَنْ يملك الإجابة عن هذه الأسئلة .. فوجهها إلى نفسك و « اختبر » إجاباتها بموضوعية ، فإذا جاءت النتائج في النهاية مؤيدة لاختيارك العاطفي والأمل في السعادة التي ينغصصها الحرمان من طفلتك والإحساس بالذنب تجاههم فامض في الطريق الذي يؤدي بك إليه ، وإذا جاءت النتائج مرجحة لكفة الأمل في انصلاح الأحوال بينك وبين زوجتك السابقة .. واستقرار طفلتك في كنف أبويهما ، فإن واجبك الأخلاقي والإنساني يدعوك لترجيح هذا الاختيار والاعتذار للأرملة الشابة عن مشروع الارتباط بها .

أما إذا تساوت الكفتان أو حتى تقاربتا ، فإن هذا الواجب نفسه يدعوك بغير تردد إلى تفضيل طفلتك وزوجتك السابقة .. واحتساب درجات الرأفة لصالحهن أملاً في سعادة الجميع واستقرارهم .. والسلام .

## الحزام المشدود !

أكتب إليك رسالتي هذه لأقصر عليك مأساتي التي أعيشها أنا وأبنائي مع زوجي الذي يعمل أستاذاً جامعياً وله من عمله دخل ممتاز إلى جانب دخله من المشروعات المتعددة التي تعود عليه بالربح الوفير . فلقد تخرجت في كلية مرموقة بتقدير جيد لكني لم أعمل .. ولعلني لو كنت قد عملت عقب تخرجي لربما كانت معاناتي مع المشكلة - التي أكتب لك بشأنها - أخف وطأة .

أما سبب لجوئي إليك ، فهو أن زوجي شديد الإعجاب بك وبردودك على مَنْ يطلبون مشورتك للخروج بهم من الأزمات التي تواجههم ، ولأنني على ثقة من أنه سوف يسمعك ويعمل بنصيحتك ويرحمنا من العذاب الذي نعانیه .

فزوجي بالرغم من سعة رزقه يبخل علينا بماله ولا يعطينا منه شيئاً على الإطلاق ولكي تشعر بجدية مشكلتنا ، فسوف أحكي لك عن نظام حياتنا معه .. فنحن لدينا أبناء في مراحل التعليم المختلفة من الحضانة حتى المرحلة الإعدادية ، وزوجي يحرمهم جميعاً من المصروف ولا يعطي أحداً منهم قرشاً واحداً - كمصروف شخصي له بحجة أن إعطائهم النقود سيؤثر سلبياً على أخلاقهم ويعرضهم للانحراف ومجاراتة أصقاء السوء ! . والنتيجة هي أن

أبنائى يمدون أيديهم لزملائهم فى المدرسة ليأخذوا منهم قطعة حلوى أو لبان أو شيبسى لأنه لا وسيلة لهم لتذوق مثل هذه الأشياء التى يتطلع إليها الأطفال إلا « بتسولها » من زملائهم الذين يقولون لهم إنهم « شحاذون » .. ويرجع إلى أبنائى ليشتكوا لى من ذلك !

كما أن زوجى يحرمنى جميعاً من شتى أنواع الفاكهة بحجة أنها قد تم رشها بالكيمائيات والمبيدات الخطيرة جداً على صحة الإنسان ، ونظراً لأنه يخاف علينا من أضرارها ، فهو يحرمها علينا ولا يسمح بشرائها أو دخولها البيت مع أننى قد أكدت له مراراً وتكراراً أن غسل الفاكهة جيداً بالماء النظيف يكفى لتجنب هذه الأضرار .

أما عن الطعام ، فنحن لا نعرف منه طوال أيام الأسبوع إلا الأنواع الشعبية الرخيصة كالفول والطعمية والكشري الإسكندرانى وهى طعامنا كل أيام الأسبوع إلى أن يجىء يوم الجمعة .. وهو اليوم العالمى للتغذية فى حياتنا ، فيقوم زوجى بشراء كيلوجرام من اللحم المجمد ويدخل به المطبخ ليطهوه بنفسه لكى ينفرد به ويظل يتسلى بالتهام معظمه خلال الطهى والأبناء ينتظرون الغداء الشهى بفارغ الصبر ، وبعد ساعات من غياب زوجى بالمطبخ يخرج علينا وقد وضع لكل فرد منا قطعة صغيرة من اللحم على طبق الأرز ويبدأ يوم الغداء العالمى فى بيتنا.

أما أنواع الحلوى من الجاتوه والشيكولاتة والبونبون، فكلها بلا استثناء من المحرمات علينا لأنها تهدد أسنان الأبناء بالتسوس وهو يريد لأبنائه ولى بالطبع أسناناً سليمة ناصعة البياض ! وذلك بالرغم من أنه حين يشهد معنا حفل زفاف أو قران لأحد

الأقارب يلتهم كل ما يقع تحت يده من الثورثة والجاتوه بلا رحمة ، ويحث أبدأنا على أن يلتهموا منها بقدر ما يستطيعون . لكي تمدهم بالنشاط وتعبيهم على السهر حتى نهاية الفرج كما يقول لهم !

فصلاً عن أنه يمسك بمصروف البيت في يده ولا يعطيني عليما واحداً منه بدعوى أن السيدات لا يصلحن لإدارة الشؤون المالية للأسرة ولأنهن قد خلقن من أجل رفعية الزوج والسهر على راحته وراحة الأبناء . ولم يسمع من الزوجية المثالية كما يؤكد لي مراراً وتكراراً هي حيلة . . . فقط ولا تصلح لأي شيء آخر !

والنتيجة يا سيدي هي . . . لا مساعدة أبي المادية لي لما استطعت اجتياز كثير من الصعوبات التي واجهتها وأواجهها كل يوم . لكنني أشعر بالخرج القوي من مساعدة أبي لأنه أحق بما يعطيه لي وقد أدى رسالته نحوي ونحو إخوتي على أكمل وجه ولم يحرمننا من شيء . فإذا بي أصبح عبثاً عليه أنا وأبنائي وأنا أعيش في كنف رجل آخر كل همه هو الإدخار والإدخار فقط .

لقد تحدثت إلى زوجي مراراً وتكراراً ولجأت إلى أهلي وإلى أهله لكي ينصحوه بأن يرحمنا ويخفف عنا جفاف حياتنا . فكان رده علي وعلى الجميع أن لديه مشروعات عديدة وطموحات كبيرة لابد له من أن يحققها أولاً قبل أن يتخفف من هذا الجفاف . حتى والده الرجل الطيب قال له : ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء . . . فأجابه بنفس الرد وطلب منه أن يدعه يحيا حياته كما يريد لها مؤكداً له أنه لا يحرمننا من شيء !

وبعد فشل جميع المحاولات من جانب والدى ووالده قررت أن أطلب منه الطلاق لأتخلص من هذه الحياة المهينة القاسية الجافة .. لكنى بعد أن قرأت رسالة الطفلة التى نشرتها بعنوان « البيت الجميل » والتى تشكو من حرمانها هى وشقيقتها من أمها بعد طلاقها من أبيها ، شعرت بالحزن والأسى .. واستشعرت خطورة كلمة الطلاق وخشيت على أبنائى من مصير هذه الطفلة ، وحاولت بشتى الطرق إصلاح زوجى وتذكيره بنعمة الله الجليلة علينا وهى الأبناء وكيف أن علينا أن نرعاهم ونوفر لهم الحياة الكريمة ، فلم يسمع لى مع أنه كاد يبكى وهو يقرأ رسالة هذه الطفلة فى « بريد الجمعة » !

إننى لن أخفى عليك أننى قد اضطررت مع استمرار حرمانه لنا أن أخذ من ماله مبلغاً بسيطاً لأشتري ملابس لأولادى ولى ، ولكى أرى الفرحة فى عيونهم بعد طول حرمان من الملابس الجديدة يرتدونها أمام الأقارب والأصدقاء ، والنتيجة معروفة مقدماً .. فقد ثار على زوجى ثورة عارمة واتهمنى بأننى نشالة ولصة وعديمة الأخلاق والتربية ووجه لى شتائم وألفاظاً لا أستطيع أن أخطها لك . وتحملت كل ذلك من أجل أبنائى كما تحملت الكثير من قبله .

إننى أرجوك أن توجه إليه كلمة تنصحه فيها بأن يرحمنا . وتقول له إن الأبناء نعمة من الله يجب عليه رعايتها وأن لهم عليه حقاً ولزوجته كذلك هذا الحق، فلقد قال الله سبحانه وتعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» وهو لا يعترف بزينة الأبناء ويعترف فقط بزينة المال . سيدى إنك الآن الأمل الوحيد الباقى لنا للخروج مما نحن فيه من حرمان وشقاء.. فهل تستجيب لرجائى؟

## ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

وهل تظنين حقاً يا سيدتي أن كلمة أوجهها إلى زوجك العزيز يمكن أن تعدل به حقاً عن الخطة التي ارتضاها لحياته.. ورضى معها لنفسه وزوجته وأبنائه بهذه الحياة الجافة المحرومة .. حتى ليتطلع أطفاله إلى ما في أيدي قرنائهم ويستجدوهم بعضها ؟

لقد تحدثت في رسالتك عن ضرورات الحياة كالطعام والكساء وإشباع رغبات الأطفال فيما يتفكّه به الصغار ، ولم تشيرى إلى ما لا يُعد من كماليات الحياة بالنسبة للقادرين كالنزهات والرحلات والأندية وغير ذلك مما تستروح به الأسرة وتخفف به عنها عناء الأيام ، ولقد فشلت مع زوجك كل جهودك وجهود أهلِكَ وأهلك في إثناؤه عن هذه الخطة الشائنة وهو الأستاذ الجامعى وصاحب المشروعات والأعمال والطموحات ، فكيف تنجح إذن كلمة من ناصح مثلى فيما فشل فيه الأقربون .. وكيف تحرك فى قلبه ومشاعره ما لم تحركه نظرات الحرمان فى عيون الأبناء ؟

إن البخل آفة لا علاج لها للأسف .. ولا أمل كبيراً فى الشفاء منها إلا فى أندر الأحوال ، أو تحت تأثير قوى قهرية ضاغطة لا يملك معها صاحبه إلا أن يتنازل كارهاً عن بعض شحه وتقتيره وليس عن كُله تجنباً لأضرار أكثر عليه خطراً من تفريطه المحدود فى المال كخطر انفراط عقد الأسرة بالطلاق مثلاً إن لم يستجب لمطالب الزوجة بالإنفاق عليها وعلى الأبناء بما يليق بمستواهم الاجتماعى أو ما شابه ذلك من الضغوط . أما عدا ذلك من المناشدات والرجاءات فلا تحرك



ساكناً لدى مَنْ يرى في المال قيمة تعلو على كل أهداف الحياة وفي مقدمتها سعادة الأبناء والزوجة واستقرار الحياة الزوجية وهناؤها .

لهذا ، فإن أفضل السبل لمواجهة هذا الحرمان الذي تكابدينه هو أن يكرر والده ووالدك ضغطهما عليه بشدة لتحديد مبلغ عادل يتناسب مع مطالب الأسرة واحتياجات الحياة للإنفاق عليها شهرياً سواء تمسك هو بإدارة موازنة الأسرة أو تخلي عنها لك ، ولو تطلب الأمر أن يتعهد والدك بضمان إنفاقه لهذا المبلغ أو تقديمه لك كل شهر .. مع التأكيد له بأن ذلك لن يؤثر على خطته للإثراء وتحقيق الطموحات والمشروعات ، وإن كنت ما زلت أعجب ممن يحرم نفسه وأبناءه وزوجته من ضرورات اليوم لحساب « رفاهية » مؤجلة غير مضمونة في الغد .. وقد تجيء وقد لا تجيء وإذا جاءت فقد تجيء بعد أن تكون الصحة قد غابت وفقدت النفس قدرتها على الاستمتاع بمباهج الحياة .. أو تجيء وقد تشبعت نفوس الأبناء بالمرارة تجاه الأب الذي حرمهم في طفولتهم وصباهم وربما شبابهم أيضاً من بهجة الحياة ، فلما أصابوا الثراء في شيخوخته لم يحملهم ذلك على تغيير نظرتهم إليه ولم يشفع له عندهم في اكتساب مودتهم ومشاعرهم التي أفسدتها مرارة الحرمان سنوات طوالاً .

إن العقل يقول لنا إن الإنسان ليس مطالباً بأن يحرم يومه مثل هذا الحرمان القاسي لحساب غده الذي قد يجيء وقد لا يجيء وأنه يستطيع ما دام قادراً أن يحيا حياة كريمة معتدلة بغير أن يؤثر ذلك على خطته للمستقبل إذا كان مقدراً

له من الأصل أن يكون ذات يوم من أهل الثراء ولم يكن من  
الواهمين الحالمين الذين يجرون وراء سراب حلم الإثراء  
الواسع بغير قدرات ولا مؤهلات ترشحهم له .

والحق أنه تحيرني دائماً قدرة الإنسان على خداع النفس  
والغير وعلى استخدام المبررات النبيلة في تبرير الأفعال  
والتصرفات الشائنة وهي سمة ينفرد بها الإنسان دون بقية  
الكائنات التي لا تخفى رغباتها وغرائزها .. ولا تحاول  
تجميلها وإلباسها ثوب الفضائل والنبيل .. فزوجك يا سيدتي  
يحرّم أطفاله من المصروف - بخلاً وشحاً وتقتيراً عليهم - لكنه  
لا يعترف بذلك لنفسه ولا لك وإنما يبرره برغبة نبيلة وهدف  
تربوي سام هو أن يحميهم من خطر الانحراف الأخلاقي !  
ويغيب عنه في نفس الوقت أن من الوسائل التربوية أيضاً  
التي تبني شخصية الطفل وتساعد على استقلالية التفكير  
والتصرف أن يتعود منذ الصغر على التعامل مع النقود  
وشراء احتياجاته بنفسه وحساب تكلفتها وموازنة دخله من  
المصروف مع إنفاقه على متطلباته الصغيرة !

وزوجك يحرم نفسه وزوجته وأطفاله من كل أنواع الفاكهة  
والحلوى فلا يعترف لكم بأنه إنما يفعل ذلك - شحاً وتقتيراً -  
لكي تزداد مدخراته على حساب حرمان أطفاله مما تهفو إليه  
نفوسهم ، وإنما يبرره بالحرص على صحة أفراد أسرته  
وسلامة أسنانهم !

وهكذا يتواصل خداع النفس والغير إلى ما لا نهاية ، وإذا  
كنت قد افتقدت في رسالتك تبريره « النبيل » لحرمان أسرته  
وهو الرجل القادر من أطايب الطعام طوال أيام الأسبوع إلى

أن يجيء يوم الغداء العالمى كل جمعة ، فلن يكون غريباً أن يبرر لكم ذلك أيضاً بحرصه على رشاقة أجسام أفراد الأسرة وحمايتها من أضرار السمنة !

والكارثة ليست فقط فى أن يرضى هذا الأستاذ الجامعى صاحب المشروعات والطموحات لأسرته بمثل هذا الحرمان القاسى من ضرورات الحياة ، لكنها أيضاً فى هذه الحمى التى تنتاب البعض للإثراء والرغبة فى التحول بقدرة قادر إلى أصحاب ملايين ولو أضاعوا فى سبيل ذلك أسرهم وأبناءهم وأهائهم بالحياة الجافة المحرومة وأهانوا أنفسهم فى أعين أبنائهم وشركاء حياتهم والأهل الأقربين . ولكل إنسان أن يضع نفسه حيث يراها جديرة بأن تكون . وعطاء المرء القادر لأسرته وأبنائه وزوجته إنما يكون على قدر اعتزازه بنفسه وإحساسه بجدارته وليس فقط على قدر إعزازه لهم .

ولقد قيل قديماً لرجل : لنا عندك حويجة « أى حاجة صغيرة » فأجابهم الرجل من فوره : إذن فاسألوا لها رجياً « تصغير رجل » لأنه يرى نفسه أحق بأن تطلب منه الحاجات الكبيرة وليس سفاسف الأمور الصغيرة!

ولن أقول بدورى لزورك الأستاذ الجامعى إن لنا لديه « حويجة » هى أن يعطى أبنائه الصغار مصروفاً معتدلاً ويخصص لزوجته أو لأسرته مبلغاً عادلاً يلبي به مطالب حياتها بطريقة كريمة تشعر الزوجة والأبناء باعتزازه بهم ورعايته لهم وحبهم عليهم ، وإنما سأقول له إن لنا لديك حاجة لا تطلب إلا من الرجال وهى أن ترعى أسرتك وأبناءك وزوجتك بما يليق بك وبمركزك العلمى ووضعك الاجتماعى

والمادى لأن مال الدنيا كله لن يعوضك عن تحول مشاعر زوجتك وأبنائك عنك وخاصة بعد أن يشبوا عن الطوق ويتفهموا حقائق الحياة ويتمردوا على الأب الذى يحرمهم مما يتمتع به غيرهم فى نفس ظروفهم الاجتماعية ، وفى هذه الحالة فلسوف تنفق المال الذى ترض به عليهم الآن كارهاً أو راغماً لكنك ستنفقه تحت ضغط الأبناء بغير أن يكون لعطائك لهم مردود عطاء الأب للأبناء الذى يتألف قلوبهم .. ويجمعهم حوله ويزيدهم حباً له .

فاختر لنفسك ما تشاء يا سيدى فك - قبل كل أفراد أسرتك - ما سوف تختاره لنفسك ، تدفعهم إليه مَنْ تنكرهم لك فى المستقبل المنظور .

## روعة الحياة !

أنا سيدة عمرى ٣٩ عاماً جميلة ومثقفة تزوجت منذ ١٥ عاماً من زميل لى بالعمل بعد قصة حب استمرت ٨ سنوات ، وأنجبت منه طفلتين هما قرة عيى ، وما دفعنى إلى الكتابة إليك هو إحساسى بالمسئولية تجاه غيرى ممن أعفاهم ربهم من معاناة التجربة التى كابدتها ، فرأيت من واجبى أن ألفت أنظارهم إلى أشياء كثيرة فى الحياة يجدر بهم الاهتمام بها وتقديرها حق قدرها .

فمنذ ثلاث سنوات اكتشفت إصابتى بالمرض الخطير ، ولن أصف لك ما شعرت به من الرعب والخوف لهذه المفاجأة .. ونمت ليلتى تلك بين طفلتى كأنما احتمى بهما مما أتوجس منه وأريد أن أشعر بالشبع منهما وأشعرهما به ، وبعد مداوولات طويلة بين الأطباء قررت السفر للخارج لإجراء جراحة .. وأجريتها هناك بنجاح وعدت لحياتى وزوجى وطفلتى .. لكنه بعد عام آخر ظهرت نفس الأعراض وسافرت مع زوجى لإجراء جراحة ثانية وودعت الطفلتين وأهلى هذه المرة وداع من يخشى ألا يراهم ثانية ، وتمت الجراحة وكشفت عما كنت أخشاه لكنى تقبلت الأمر صامتة وساهمة .. وفى اليوم التالى للجراحة وكنت راقدة فى فراشى

بالمستشفى أنظر إلى النافذة التى بجوارى حين تردد هذا السؤال فجأة فى أعماقى : ماذا لو أخبرنى الطبيب بأن ما تبقى لى من عمر ليس سوى شهر أو شهور قليلة ؟ وما الذى أبدأ بعمله فى هذه الحالة !.. والأطباء الأجانب كما تعرف لا يخفون هذه الأمور عن مرضاهم ؟ وتأملت حالى وحياتى السابقة وتساءلت : ما هذا المظهر الأوروبى الذى يتسم به مظهرى وما هذا الشعر المكشوف وماذا عن علاقتى بزوجى ومناطقتى المستمرة له فى السابق ، وإلى أين يقودنى ذلك إلا إلى الجحيم ؟

ثم ماذا لو كان الخطر قد زال عني نهائياً ولم يعد هناك ما يدعو للخوف والتوجس .. هل أرجع إلى حياتى الماضية وأواصلها كما كانت بأخطائها وعثراتها ؟ إن صديقتى يصفننى بالشهامة وبأننى أقدر الجميل ولا أنساه لفاعله وأقف إلى جوار الحق .. فهل أنسى « الجميل » لربى إذا أعفانى من الخطر وأرجع لحياتى السابقة ؟.

وقبل أن أعرف نتائج الجراحة كنت قد قررت أن الوقت قد حان لمراجعة حياتى كلها ولقطف ثمرة هذه المحنة فى طاعة الله وجاءنى الطبيب وأبلغنى بزوال الخطر وبأننى أستطيع أن أواصل حياتى الطبيعية دون خوف ، وابتهجت بذلك كثيراً .. وتذكرت دينى لربى بالوفاء له بالعهد .. فكان قرارى الأول هو أن غادرت المستشفى الأجنبى الذى دخلته بملابس أوروبية « بالحجاب » ورجعت إلى بيتى وبناتى وأنا على قيد الحياة واعتبر كل يوم من عمرى صدقة منحها الله لى بفضلله وكرمه وأرجوه أن يطيل فى حياتى لكى أربى بنتى على طاعته .

وأصبحت أقدر الحياة حق قدرها ووضعت مشاكلي في حجمها الطبيعي ، ورأيت أنني ما دمت بين بنتي وأستطيع خدمة نفسي بنفسى ، فهذه هى السعادة التامة.

وأنه من الجحود لنعمة الله ألا يرضى الإنسان بحياته بسبب ما يعانيه من قلة الرزق أو عدم التوفيق فى الحياة الزوجية ، إذ ماذا تعنى مثل هذه المشاكل بالقياس إلى محنة كمحنة هذا المرض الخطير .. وهل لابد أن نبتلئ بالمرض لكى نعرف ونقدر ما نحن فيه من سعادة ؟.

لقد راجعت حساباتى بعد أن استقرت حالتى ووجدت أن حيائى قد تغيرت إلى الأفضل وأن علاقتى بكل من حولى قد تحسنت وأننى قد سعدت بالسلام النفسى والثقة بالله والرضا بقضائه وقدره وأدركت أن لى ثروة من الأهل والأحباب ، الذين غمرونى بمشاعرهم وأفضالهم خلال محنتى ، ولا يتسع المجال هنا للإشادة بما قدموه لى ولزوجى فى الداخل والخارج ، ولو فعلت لاحتجت إلى صفحات وصفحات أتحدث فيها عن صديق زوجى الذى بادر بالاتصال بالمستشفى الأجنبى دون طلب منا وحجز لنا تذكرتين للسفر وصمم على أن نقيم فى شقة صديق له بالعاصمة الأوروبية لمتابعة العلاج بعد الجراحة ، أو هذا المصرى الذى يقيم هناك ولم نكن نعرفه من قبل وأصر على أن نقيم فى بيته الصغير مع أسرته ، أو هذا الرجل الصالح العالم الذى أتبرك به وزوجته الفاضلة واللذين يتصلان بى يومياً داعيين لى بالشفاء.. أو هذا الرجل صديق أبى الذى أراد أن يخفف عنى فأهدانى كتاب « سيدات بيت النبوة » لأطلع على ابتلائهن أو هذه الصديقة التى كانت قد انقطعت عنى وعلمت بمحنتى ، فاتصلت

بصديقة لنا تستأذن في السؤال عني ، أو هاتين الصديقتين اللتين كانت أخبارهما قد انقطعت عني، فإذا بهما تظهران فجأة لكي تخففا عني ، ناهيك عن موقف أختي وأبي يرحمه الله وأمي وإيمانها العميق ودعائها المستمر لي .

لقد وقف الجميع معي بالدعاء والتثبيت والتشجيع وأحاطوني بحبهم ورعايتهم .. فكيف أشكو .. ولا أشكر .

وكيف اعتبر ما تعرضت له ابتلاء وقد كان فضلاً من الله ونعمة وتذكيراً لي بما أنعم عليّ به ربي ؟ .

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

يبدو أننا نحتاج بالفعل لمن يذكرنا بقيمة الحياة لكيلا تستغرقنا مشاغلنا الصغيرة وصراعاتنا التافهة ، فتشغلنا في بعض الأحيان عن إدراك قيمة الحياة وتقديرها حق قدرها .

ومن المفارقات الإنسانية القديمة إننا قد لا ندرك أحياناً قيمة ما يحيط بنا من أسباب للسعادة والرضا والابتهاج بالحياة إلا ونحن نتسمع أنغام الرحيل الحزينة فنهتف كما هتفت الجدة العجوز في رواية « عالم صوفيا » للكاتب النرويجي يوستن جاردن حين انبأها الطبيب بمرضها مرض الموت : الآن فقط أدرك روعة الحياة وجمالها !

ولقد تساءلت الطفلة صوفيا في هذه الرواية الفلسفية : أليس من الظلم أن يموت الإنسان ؟ ثم راحت تتأمل الفكرة فما أن تقبلتها وسلمت بها حتى أدركت أكثر من أي وقت مضى : أية نعمة كبرى تنعم بها وهي تتردد فيها أنفاس الحياة ، وأدركت هي أن الحياة تحيل إلى الموت .. والموت يحيل إلى الحياة وأننا لا نستطيع أن نشعر بقيمة الحياة إن لم نفكر



أيضاً فى أننا سنموت ذات يوم لأننا لا نملك حين نفكر فى الموت إلا أن نشعر بروعة المعجزة الأخرى الخارقة وهى أننا ننعم بالحياة !

ولقد أحلت يا سيدتى محنتك المرضية و « فكرة الموت » إلى دافع جديد للحياة بطريقة أفضل . وأدركت « روعة الحياة » والعمر ممتد أمامك بإذن الله لكى تحققى خلال رحلة العمر ما تنبّهت إليه خلال مراجعتك لحياتك السابقة ، وتنهضى إلى الطاعات وتستثمرى حياتك فى تحقيق السعادة لك وللمن حولك .. وفى إضاءة عالمك الصغير بالمثاليات والقيم الدينية والأخلاقية والعلاقات الإنسانية النبيلة ، مستفيدة من عبرة المحنة فى الالتفات إلى الأشياء الجديرة حقاً باهتمام الإنسان وسعيه إليها .. وفى التغاضى عما لا يستحق العناء من أجله أو الوقوف أمامه بلا طائل من صفائر الحياة ، فكأنما قد أضفت إلى عمرك وخبرتك بالحياة عمراً آخر أو أكثر وتعاملت مع الحياة والوجود بمنطق أرقى من منطق البحارة القدامى الذين يقول عنهم المثل الإنجليزى إنهم لا يعرفون الله إلا ساعة الغرق . ومنْ يعرف الله فى غير أوقات المحن يجده إلى جواره يجيب دعوة الداعى إذا دعاه فى كل الأوقات ، ويحظى بالحياة الآمنة ، وبالسلم النفسى فى ظلال طاعته .. ويشعر بجدوى حياته وقيمتها وهو يطبق ذلك النهج البسيط الحكيم الذى يحقق التوازن المطلوب بين الاحتفاء بالحياة والاستعداد للرحيل الأبدى ، الذى نصحنّا به إمام المتقين على بن أبى طالب : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

فثقى بربك ونفسك ويومك وغدك يا سيدتى ، واستمتعى  
بحياة فاضلة مديدة بإذن الله .. وترجمى شكرك لربك على  
ما أنعم به عليك من نعم بتنشئة طفلتك على طاعته والالتزام  
بحدوده والإيمان بخيرية الحياة .

وشكراً لك على رسالتك هذه التى تذكرنا بما قد تشغلنا  
عنه فى بعض الأحيان شواغل الحياة وأمواجها المتلاطمة !

## شهوة الانتقام!

أكتب إليك هذه الرسالة لأروى لك عن المشكلة المؤلمة التي أعيشها يومياً .. فأنا مدرسة أطفال فى مدرسة ابتدائية ، وأحب أطفالى كثيراً ، ولكننى أرى الألم والمرارة التى ترتسم على وجوه مجموعة من هؤلاء الأطفال الذين انفصل آباؤهم وأمهاتهم بالطلاق، وأصبحوا فى حضانة الأم .. إذ أرى أمامى حرباً شعواء تشنها الأمهات ، لا أقول على الآباء ولكن على الأبناء ، فالأم تبذل قصارى جهدها حتى لا يرى الأبناء آباءهم ، والأب يجاهد لى يرى أبنائه بكل الطرق الودية التى لا تصر بنفسية الصغار ، ولكن الأم وللعجب الشديد لا تهتم بنفسية هؤلاء الصغار ولا تكثر بعذاباتهم فى سبيل شفاء غلها الشخصى من الأب ..

وهنا يلجأ الأب إلينا فى المدرسة ليرى أبنائه خلصة من الأم ، فأرى فى وجوه هؤلاء الصغار السعادة والبهجة واللهفة لرؤية أبيهم المحرومين منه بفرمان الأم .. وأجد الأب يفيض عليهم بالعطف والحنان الذين هم فى أمس الحاجة إليه ، وأسمع بينهم حواراً ينفطر له قلبى .

« عايزين يا بابا نتفصح معاك زى أصحابنا » فيرد الأب «ياريت يا ولاد .. خذوا إذن ماما وبلغونى ، وأنا أعدى عليكم

أفسحكم » ، فيرد الأطفال بأسى شديد « ماما لا ترضى أن نشوفك أو نكلمك فى التليفون » ، فيحتار الأب فى الجواب ول يجد ما يرد به على أطفاله سوى الدموع !! ناهيك عما ذكره الصغار مما لقنته لهم الأم من أقوال مسمومة عن أبيهم ..

وعندما تعلم الأم برؤية الصغار أبيهم فى المدرسة، فإنها تأتى إلينا ، وهى تتميز غيظاً لفشل حظها فى حرمان الصغار من أبيهم، وتدخل معنا فى نقاش حاد لسماحنا بذلك .. وقد حاولت مراراً وتكراراً أنا والاختصاصية الاجتماعية أن نجلس مع الام انو ح لها مدى الضرر النفسى الذى يعانيه هؤلاء الأطفال وكيف أن انعكس عليهم فى عنفهم مع أقرانهم ، وفى خلفهم الدراسى الراضح وحزنهم المستمر .. إلا أن الأم وللعجب الشديد مرة أخرى لا يعنيه ذلك من قريب أو بعيد ، وإنما تسترسل فى سرد ما فعله هذا الزوج معها فى سالف الأيام ، وكيف أنه كان وكان وكان .. وينتهى الحوار بيننا بغير أن تهتز للأم شعرة واحدة لما سردناه عليها من معاناة أبنائها ! حتى لو لم يتفق الأب والأم كزوج وزوجة ووقع بينهما ما صنع الحداد ، فما ذنب الصغار فى أن تستخدمهم الزوجة غالباً كأداة حرب ضد هذا الزوج ؟ ..

وعلى الجانب الآخر ، فإننى أرى آباء وأمهات انفصلوا عن بعضهم البعض لكنهم يضعون مصلحة الأولاد فوق اعتباراتهم الشخصية ، فالأم الحاضنة لا تقول للأولاد عن أبيهم إلا كل خير .. وكذلك الأب ، كما أن الأم تسمح للصغار بأن يرتووا من حنان الأب وعطائه فينشأون فى اتزان نفسى وعاطفى بالرغم من أن الأبوين قد حدث بينهما من المشاكل ما أدى إلى الطلاق .

ومن خبرتى مع هؤلاء الأمهات من النوع الأول، فإنه لن تجدى

معهن الدعوة بالحسنى لحثهن على الرحمة بأبنائهن لذلك أرجو أن تتبنوا هذه القضية التى تمس قطاعاً عريضاً من صغارنا ، بالتوجه لأولى الأمر وواضعى القوانين أن يكونوا أرحم على هؤلاء الصغار من أمهاتهم اللاتى أعمتهن الرغبة فى الانتقام من الأب عن رؤية مصلحة الصغار ، إذ يجب وضع قانون يعطى الأب حق مصاحبة أطفاله ( ولا أقول مجرد رؤيتهم ) يومين على الأقل أسبوعياً حتى يحصل الأطفال على الاتزان النفسى والإشباع العاطفى الذى يجعل منهم رجالاً ونساءً أسوياء بدلاً من أن ينشأوا وهم يعانون الاضطرابات النفسية ما يتعذبون به ويتعذب به المجتمع معهم .

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

بعض الأمهات الحاضنات ، وكذلك بعض الآباء الذين ينفردون برعاية الصغار دون أمهاتهم ، يتعاملون مع شركاء الحياة السابقين بمنطق العبارة القديمة للشاعر الأغريقى هوميروس التى تقول : الانتقام أشهى من العسل !  
والمؤسف حقاً هو أنهم فى استغراقهم فى شهوة الانتقام من شركاء الحياة السابقين ينسون ، عامدين أو غافلين ، مصلحة هؤلاء الصغار الذين ينفذون من خلالهم انتقامهم الخسيس من شركائهم السابقين .. ولا يتوقفون لحظة عن طلب هذا « العسل الشهى » بغض النظر عن أثره السام على معنويات الأبناء وتكوينهم النفسى فكأنما ينتقمون من الحياة ، وليس من شركائهم السابقين بتقديم المزيد إليها من الأشخاص المرشحين للانحراف السلوكى أو النفسى فى قادم الأيام .  
فهل تستحق شهوة الانتقام هذا الثمن الباهظ الذى يدفعه

الصغار من سعادتهم وتكوينهم النفسى وشخصياتهم ..  
ويدفعه المجتمع فيما بعد من معاناته مع غير الأسوياء من  
أفراده ؟

إن رسالتك تثير قضية مؤلمة .. والأكثر إيلاماً هو أن  
ما نحتاج إلى قانون لتنظيمه هو حق مصاحبة الأبناء وليس  
فقط رؤيتهم . ولقد كان يكفي لإقراره فقط الفطرة السليمة  
لدى الأمهات والآباء والرغبة المشتركة فى خير الأبناء بغض  
النظر عن تاريخ الصراع السابق بين الفريقين .. فكيف  
تراجع الفطرة السليمة .. التى أودعها الله سبحانه وتعالى  
قلوب الأمهات والآباء .. أمام هذا الحاجز الشيطانى من الرغبة  
الضارية فى الانتقام من الآخرين إلى هذا الحد ؟ .

## أبواب الجحيم

أشعر بحرج شديد وأنا أكتب لك هذه الرسالة ، لكنى أحتاج بشدة إلى مشورتك فى أمر لا أستطيع أن أستشير فيه من هم حولى من الأهل والأصدقاء . فأنا رجل تخطيت الستين من العمر ببضع سنوات .. وأعمل عملاً مهنيًا خاصاً يوفر لى مستوى كريماً من الحياة .. وقد بدأت رحلتى فى الحياة العملية عقب تخرجى فى كلية مرموقة .. فعملت خارج مصر بضع سنوات ، وراسلت خلال عملى إحدى الجامعات الغربية للدراسة بها .. وسافرت إليها للحصول على الدبلوما وحصلت عليها فى زمن قياسي ، وخلال وجودى فى تلك الدولة الغربية تعرفت على فتاة عربية تعيش مع أسرتها هناك ، وشعرت بالانجذاب إليها، فتقدمت للارتباط بها بالرغم من الفوارق الاجتماعية والثقافية بيننا ، إذ كانت من أسرة بسيطة اجتماعياً ، ولم تحصل على أى شهادة .. لكنى سعدت بها وأليت على نفسى أن أعلمها كيف تتكلم .. وكيف تتصرف فى المجتمعات الراقية .. إلخ .

وكانت تستجيب لإرشاداتى لها وتلتقط خبرة التعامل والتصرف سريعاً ، ورجعت إلى بلدى واستقررت به لفترة ، ثم رحلت إلى دولة خليجية للعمل هناك فى مجال حر وأمضيت

عامين حققت خلالهما قدراً لا بأس به من النجاح .. وعدت إلى مصر وبدأت نشاطى المهنى فى بلدى .. واستقرت بى الحياة فيها.. وأنجبت من زوجتى هذه ولدين تقدما فى مراحل التعليم .. وحققت فى عملى نجاحاً كبيراً ، وانتقلت بأسرتى إلى شقة فاخرة.. واشتريت شقة جميلة فى المصيف . واكتملت لى ولزوجتى كل أسباب السعادة .. ورضيت عن حياتى معها، فهى دائماً لطيفة وجذابة ومجاملة .. ومليئة لكل احتياجاتى ، وتشبعنى عاطفياً وحسياً ، وأنا لا أبخل عليها بشيء وأوفر لها كل أسباب الحياة المريحة .. واصطحبتها فى الصيف فى رحلتى الخارجية إلى أوروبا .. وأقدمها للمجتمعات الراقية . وأزور معها بيوت الأهل والإخوة والأصدقاء ، فتستقبل منهم بحفاوة شديدة وتحقق لديهم رصيذاً فورياً من الحب والإعجاب برقتها وخفه ظلها وروحها المجاملة للجميع بلا استثناء ، كما أغدقت عليها بالمال والهدايا والملابس الفاخرة .. إلى حد أننى كنت أشعر أحياناً بالحرى من ارتدائها للفرو الثمين الذى لا تملك مثله شقيقاتى ، وبصفة عامة ، فلقد كانت الحياة معها سعيدة وجميلة .. ولا وجه للشكوى منها .. اللهم إلا فى بعض المرات التى لاحظت عليها فيها بعض التصرفات غير اللائقة ، فكنت أعاتبها فيها ، فتدافع عن نفسها وتنكرها فى البداية ثم لا تلبث تحت الضغط عليها أن تقر بها وتعتذر عنها وتعدنى بعدم تكرارها ، كميلها للتبسط الزائد على الحد أحياناً مع بعض أصدقائى ، أو خروجها وحدها خلال سفرى فى أعمالى وتأخرها عن العودة للبيت .. إلخ . أو لجوئها للكذب فى مواقف كثيرة تجنباً للومى وعتابى .. إلخ ، وكنت أعزى هذه التصرفات الصببانية إلى نشأتها فى الغربية فى وسط عائلى واجتماعى



بسيط وأتجاوز عنها بعد اعتذاراتها عنها وملاطفتها لى لى  
أصفح عما حدث . ونواصل حياتنا بسلام ..

ثم تكررت هذه التصرفات المبيانية فى السنوات الأخيرة  
وكثرت وبدأت أشعر بالقلق تجاهها .. وأحاول طمأنة نفسى بأن  
الولدين قد كبرا ودخلا دور الشباب ، ولا بد أن تحترم أمهما  
وجودهما فى حياتها ، ونكت عن مثل هذه الصغائر ، إلى أن جاء  
الصيف وسافرت بأسرتى إلى المصيف وأمضيت معها بضعة أيام  
من السعادة الخالصة ، تم تركت الأسرة فى المصيف لقضاء  
شهرى يوليو وأغسطس ورجعت إلى القاهرة لممارسة عملى .. فلم  
تمض سوى أيام حتى فوجئت بابنى الشابين يأتيان إلى فى  
القاهرة بمفردهما مضطربين وشاحبى الوجه وينفردان بى  
بالمسكن ثم يرويان لى وهما يرتجفان أنهما قد تأكدا بالملاحظة  
والمراقبة أن أمهما تترد خلصة على مسكن جار أعزب لنا فى عمارة  
المصيف ، وأنهما حاولا أن يكذبا عينييهما دون طائل ، بعد أن  
راقباهما أكثر من مرة .. ولاحظا عليها كثرة المكالمات التليفونية  
المريبة .. والهمس المتكرر بينها وبين شغالة الأسرة ، التى تجمعها  
بها صداقة غريبة تثير التساؤلات ، فلم يجدا ما يفعلانه بعد أن  
ضاقت بهما السبل سوى تركها فى المصيف ووضع الأمر بين  
يدى .. وصعقت لما سمعته من الابنين .. وشعرت بالدم ينسحب  
من عروقى .. لكننى حاولت على الرغم من ذلك أن أهديء من  
روعهما بقدر الإمكان وطلبت منهما البقاء فى القاهرة ، ثم نهضت  
وارتديت ملابسى وركبت السيارة إلى المصيف وبلغته فى  
العاشرة مساء ودخلت شقتنا ، فلم أجد لزوجتى أثراً .. وسألت  
عنها الشغالة ، فارتبكت ولم تجد جواباً . فصعدت للدور العلوى

الذى تسكن به أسرة صديقة لنا عسى أن تكون فى زيارتها ،  
فقابلنى رب الأسرة وأبلغنى أن زوجته وأبناءه فى القاهرة منذ  
أيام وهو يقيم بالمسكن وحيداً ولم تأت زوجتى إليه بالطبع لعدم  
وجود زوجته . فلم يبق سوى الشقة الأخرى فى الدور الأعلى  
التي يقيم فيها ذلك الجار وحيداً ، وفكرت فى أن أطرق عليه الباب  
وأسأله عن زوجتى ، لكنى تراجعته عن ذلك على أمل أن تكون فى  
مكان آخر، فأوفر على نفسى الموقف الحرج والفضيحة المدوية ..  
ورجعت إلى شقتى، فأخرجت مقعداً وجلست أمام بابها أنتظر  
لأرى هل ستأتى من أسفل فتكون خارج العمارة كلها ، أم ستهبط  
من أعلى فتصدق الظنون ويتأكد الاتهام .. ومضت الساعات ثقيلة  
إلى أن سمعت صوت خطوات تقترب فى الثانية والنصف صباحاً  
وتعلق أملى اليأس بأن تكون قادمة من أسفل .. فإذا بالزوجة  
المصون أم الشابين اللذين يدرسان بالجامعة تهبط من أعلى  
وترانى فى موضعى، فتصاب بالذهول للحظات .. ثم تحاول تمالك  
نفسها على الفور وتفتعل المرح والدهشة لعودتى غير المتوقعة ..  
وأمسك بيدها وأسحبها إلى داخل الشقة وأسأله : أين كنت حتى  
هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ ..

فتجيب فى غير اضطراب أنها كانت فى زيارة الأسرة التى  
تسكن فوقنا .. وكيف أن ربة هذه الأسرة قد تمسكت بها طوال  
السهرة لكى تسليها فى غياب زوجها !!

ولم أتمالك نفسى حين سمعت ذلك وانهلت عليها ضرباً وركلاً،  
وطلع علينا النهار ونحن على هذه الحال ، ووصل الابنان من  
القاهرة، فظللت ثلاثة أيام عصبية استجوبها عما حدث واسترجع  
كل العلامات المريبة التى كنت ألاحظها فى السنوات السابقة

وأخذها لسوء الحظ على محمل سليم ، وسعدنا أنا وأبنائي إلى مسكن ذلك الجار الأعزب . وأوجعناه ضرباً .. فلم يجرؤ على أن يشكونا إلى الشرطة .

وانتهى الاستجواب بأن اعترفت بأنها كانت بالفعل فى مسكن هذا الجار لكن « شيئاً » لم يحدث بينهما ، وإنما جلسا فى الشرفة يتبادلان الأحاديث البريئة حتى ذلك الوقت المتأخر !!

وحزمت أمرى، فاتصلت بأسرتها فى المهجر البعيد وطلبت منها إرسال تذكرة السفر لابنتهم لأننى سأعيدها لهم ، ولن أدفع لها حتى ثمن التذكرة ، وفوجئت بها تقول لى فى بساطة : ولماذا أطلب منها السفر وقد اعترفت بخطئها وانتهى الأمر ؟!.. وأجبتها لما ينبغى لمثلها أن تعرفه وهو أنها أم غير أمينة على شرف زوجها وأبنائها وأن وجودها خطر على معذويات هؤلاء الأبناء وأخلاقياتهم .

وسافرت إلى أهلها وهى تأمل فى العودة فى أقرب وقت بعد هدوء العاصفة ، وراح ابنى الأكبر وهو شاب مستقيم وعاقل يستجوب الشغالة عن كل شىء من أمر أمه وأمرها معها خلال السنوات الماضية ، فإذا بها تفتح علينا أبواب الجحيم .. وتكشف لنا عن أهوال تقشعر لها الأبدان ، فتروى عنها العديد من « المغامرات » التى كانت طرفاً فيها أو أطلعتها عليها سيدتها أو طلبت مساعدتها فى التستر عليها ، وإذا بى اكتشف أن السيدة التى أغدقت عليها الحب والعطاء ورفعتها إلى مستوى اجتماعى لم تكن تحلم به كانت طوال سنوات ماضية تعبث بشرفى .. وتخوض مغامرات حقيرة لا تفرق فيها بين شاب فى الثامنة والعشرين من عمره وبين رجل مسن فوق السبعين من عمره ،

وإذا بهذه الشغالة اللعينة تعترف بعلمها بثمانى علاقات لزوجتى المصون مع رجال مختلفين فى القاهرة والإسكندرية ، بعضهم تعرفت عليهم خلال رحلة السيارة ومعها الشغالة إلى المصيف ، وتبادلت معهم أرقام التليفونات .

وأنهت رغم محاولتى التماسك أمام ابنى .. ووجدت التفسير لبعض الأحداث المحيرة خلال رحلة حياتى مع هذه السيدة ، وتذكرت يوم التقيت بصديق حميم لى فى محل عام ومعى زوجتى .. وكيف لاحظت بعد قليل اضطرابه وعلامات الدهشة والاستنكار تعلو وجهه وهو ينظر فى اتجاه زوجتى .. وكيف شككت وقتها فى أنها كانت تشير إليه من وراء ظهرى أو تغمز له بعينها ، ولم أجد دليلاً على ذلك وخاصة أن هذا الصديق قد قاطعنا عائلياً بعدها ولم يعد يظهر فى مناسباتنا .

كما تذكرت أيضاً كيف كنت أجلس مع صديق آخر وكل منا معه زوجته نتناول طعام العشاء ، فإذا بهذا الصديق بعد قليل يصيح فى زوجته طالباً منها الكف عن ركل ساقه أسفل المائدة ، وإذا بزوجه تنفى بشدة أنها فعلت ذلك !

وتذكرت .. وتذكرت .. وتذكرت .. وعجبت كيف رضيت لى هذه السيدة بكل هذا الهوان ، وأنا الذى أخلصت لها الحب وأجزلت لها العطاء وأحسنتم معاملتها على مر السنين .. ماذا كان ينقصها.. وقد كانت ملبية دائماً لندائى وتبدو سعيدة بحياتها معى ومبتهجة دائماً .. وتكره النكد ولا تكف عن الضحك وإثارة المرح فى حياتنا.

لقد طلقتهما وأنا حزين على نفسى .. وأتساءل : كيف تخفى السعادة وراءها كل هذا الجحيم ؟

وفوجئت عقب طلاقى لها بلوم الأهل وكثيرين من المعارف لى على طلاقها ، وقد كانت كما بدت لهم دائماً السيدة الودود المحبة لزوجها وأبنائها والمجاملة لأهله ومعارفه .. واللطيفة دوماً مع الجميع .

وعقلت لسانى فى فمى .. فلم أجب عن هذه التساؤلات المستنكرة .. وكيف لى أن أجيب عنها .. هل أقول لمن يلومنى إننى قد اكتشفت لزوجتى السابقة علاقات شائنة بـ ٨ رجال هم من اعترفت عليهم شغالتها المخلصة وكاتمة أسرارها .. وإن الله وحده هو الذى يعلم عدد الآخرين خلال ٢٤ سنة من الزواج ؟ هل أقول لهم إنها كانت تغازل أصدقائى وأنا أجلس إلى جوارها ..

وترجع للوراء لكى تغمز لهم بعينها .. أو تمد ساقها لتركل بها ساق من ترغب فى مناوشته أسفل المائدة . هل أقول لهم إننى اصطحبتها معى فى رحلة إلى إحدى الدول الأوروبية وأقمنا فى فندق صغير، فشككت فى أنها تغازل موظف الاستقبال الذى لا يزيد عمره على ١٨ عاماً .. وأنا واقف معها أمامه ، وأنه كان يبادلها الإشارات المختلصة !؟

لقد طويت صدرى على همى وأملت فى أن تندمل جراحى مع الأيام ، وكان أكثر ما يثير حيرتى هو : كيف تنطوى مثل هذه الشخصية على هذا التناقض العجيب بين لطفها معى وحرصها على إرضائى كزوج وعبثها بشرفى وامتهانها لكرامتى فى الوقت نفسه ، لقد مضى الآن عامان على هذه الكارثة وما برئت بعد من كل الجراح ، واعترف لك بأننى قد شعرت بفراغ هائل فى حياتى بعد رحيلها لولا أننى احتضنت ابنى والتمست لديهما العزاء

والتعويض عما لقيته من هذه السيدة ، وهما يرفضانها رفضاً قاطعاً ونهائياً ويزجرانها حين تتصل بهما تليفونياً ويطلبان منها عدم معاودة الاتصال ولا يستجيبان لمحاولاتها لاستعطافهما لكي ترجع إليهما أو تراهما .. ويكدرانها كل مرة بما فعلت بهما وبكرامتهما وسمعتهما ووضعهما أمام أصدقائهما وزملائهما .

وبالرغم من كل ذلك، فإنها لم تيأس بعد .. وما زالت تتصل بنا وتلح ، وفي كل مرة انبهها إلى عدم معاودة الاتصال ، وأبصر ابني بما تمثله من خطر على حياتهما وسمعتهما ومستقبلهما وصورتهم أمام أصهارهما في المستقبل حين يرتبطان بشريكتي الحياة .. إذا ظهرت أمامهما بمظهرها العابت اللاهي ، وواصلت عبثها ومغامراتها في المحيط العائلي ، وهما يتفقان معي في ذلك ، ويغالان في التمسك برفضها ، غير أن ابني الأصغر وهو شاب متدين يؤرقه ضميره الديني بشأن مسألة رفض الأم وقطع كل صلة بها .. ويسألني ألا يدخل ذلك في باب قطع الرحم الذي نهانا عنه الله .. وهو أكثر إصراراً من شقيقه على رفض أمه ، لكنه يتساءل : ألا من صيغة لا تعرض الأبناء لغضب ربهم عليهم .. وتحميهم في نفس الوقت من وجود مثل هذه الأم في حياتهم ؟

لقد اتفقنا على أن نستشيرك في ذلك .

أما بالنسبة لي أنا شخصياً .. فإن ابني يملأن حياتي الآن وأشعر بالرضا عن كل شيء في الدنيا وأنا معهما .. ولكن ماذا عن المستقبل حين يستقلان بحياتهما عني .. وتخلو الحياة على وحدي وماذا تقول لنا ؟

**ولكاتب هذه الرسالة أقول :**

زوجتك السابقة يا سيدي شخصية مريضة بانحراف  
نفسى خطير يجعل منها بالفعل خطراً داهماً على معنويات

أبنائها وأخلاقياتهم .. فهي ليست مجرد زوجة ضعفت عاطفياً ذات مرة أمام أحد الرجال، فتناست واجباتها تجاه زوجها وأبنائها وانسأقت وراء أهوائها ، فطلبت الطلاق من زوجها لتتزوج ممن أحببت آملة أن يتجاوز أبنائها الشباب الصدمة بعد حين ، وتستعيد علاقتها الأمومية معهم ، وإنما هي شخصية سيكوباتية منحرفة تطلب متعتها العارضة من أى سبيل ودون الوقوف أمام أية اعتبارات دينية أو أخلاقية أو اجتماعية ، والشخصية السيكوباتية شخصية تبحث عن الإثارة اللحظية والنشوة الفورية .. وقد تتمثل هذه « النشوة » لديها كما حدث مع زوجتك السابقة فى مجرد التلذذ بالشعور بإحساس المغامرة والمخاطرة والخوف من انكشاف أمرها وهى تغمز لرجل غريب يجالس زوجها .. أو وهى تدعوه لمغازلتها بكل ساقه خفية من تحت المائدة ، ومن سمات هذه الشخصية إدمان الكذب وإهدار حقوق الآخرين وكسر القوانين والأعراف السائدة وخيانة أقرب الناس إليها والتعثر فى الدراسة غالباً .. وتعدد العلاقات غير المشروعة فى حياتها ، ومعاودة ارتكاب نفس الأخطاء بلا أدنى ندم على التجارب السابقة .. ولا أدنى تبصر لعواقبها عليها وعلى من ترتبط بها حياتهم ، فهى شخصية لا ترد نفسها عن رغبة وتعجز عن التحكم فى اندفاعاتها أو نزعاتها شبه القهرية .

ولأنها شخصية شبه وثنية ، فلا أثر تقريباً للقيم الدينية والأخلاقية عليها وليس هناك حدود لما يمكن أن تقدم عليه من أفعال وتصرفات .

ولا شك فى أنك قد تأخرت كثيراً فى اكتشاف انحرافها

الخطير هذا ، والاكتشاف المتأخر للمرض يضعف الأمل في الشفاء إذا كان ثمة شفاء لمثل هذه الحالة .. إذ لا يشعر المنحرف فيها بالندم غالباً على ما يفعل ، وإن شعر به في بعض الأحيان ، فلفترة مؤقتة ثم يستجيب بعدها لنوازعه ورغباته من جديد ، وقد يكون ندمه في أحيان أخرى على « انكشاف أمره » وليس على ما ارتكب من خطايا وأخطاء أدت به إلى هذا الوضع .. فكان ندمه في هذه الحالة هو « ندم مهني » على عدم إجادة « الصنعة » بحيث لا تنكشف الأخطاء وليس على اختيار الطريق الخاطئ أصلاً في الحياة .

فأما التناقض الذي تتعجب له بين عبث هذه السيدة بشرفك وبين إسعادها لك وتلبيتها لندائك وابتهاجها بالحياة معك طوال سنوات الرحلة ، فلأن الشخصية السيكوباتية نوعان : نوع شرس مصادم للآخرين يكسر القوانين والأعراف بشكل ظاهر ويسميه علماء النفس بالسيكوباتي الغبي .. ونوع آخر ناعم يتوسل إلى تحقيق رغباته بالذكاء والدمائة الظاهرية .. ورقة التعامل مع الآخرين وبإجادة فن الإقناع على الرغم من كذبه الدائم ويسميه علماء النفس بالسيكوباتي المبدع .. وكلاهما شخصية مضادة للمجتمع ولا عهد لها ولا وفاء .. ولا شفاء أيضاً من أدرانها إلا بالعلاج الطويل المرهق الذي لا يؤتي ثماره إلا إذا توافرت الرغبة الصادقة لدى السيكوباتي في الشفاء وهو ما لا يتحقق إلا نادراً .

وفي حالة زوجتك السابقة بالذات ، فإن من تملكها مثل هذه الرغبة العارمة في الاستمتاع بمتع الحياة بلا سدود ولا قيود أخلاقية ودينية ، قد يفيض إناؤها الممتلىء ببعض



ما فيه على مَنْ حولها وقد تطلب السلام فى حياتها الخاصة لى تتجنب القيود التى تعوق انطلاقها لممارسة نزواتها ، وتتفادى المنغصات التى تتعارض مع رغباتها فى الاستمتاع بالحياة ويعينها على تحقيق هذا الهدف إدمانها الكذب وإجادتها لفن الإقناع ، ولقد ذكرنى ما رويت عن اصطفاؤها لخادمتها لى تبوح لها بأسرارها المشينة وتستعين بها على كتمانها بما قاله الأديب الأيرلندى أوسكار وايلد من أن « كل امرأة تود أن يكون لها سر تتقاسمه مع مَنْ تصطفيه وتوصيه بكتمانه » .. وهو قول قد يصدق على بعض النساء والرجال ، لكنه لا يصدق بكل تأكيد على الفضليات من النساء اللاتى لا أسرار لهن ولا خوف عليهن من انكشاف أمورهن .

وهذا ما حدث فى حياتك طوال السنوات الأربع والعشرين الماضية ، التى كانت كما تقول فى رسالتك من سنوات «السعادة الخالصة»! ولعلها لو كانت عكس ذلك ، لأعانك هذا على التوقف أمام التجاوزات المنذرة بالخطر التى لاحظتها عليها فى مرات عديدة سابقة ولم تسمح لك هى بنعومتها و«إبداعها» السيكوباتى بتقديرها حق قدرها .. والتصرف فى حياتك على أساس هذا التقدير ، فضلاً عن أن علماء الزيولوجيا « علم الحيوان » يقولون لنا إن أكثر أنواع الحيات نعومة فى جلودها هى أكثرها أيضاً سميّة وخطراً على حياة الغير ! .. ونأتى فى النهاية إلى تساؤل الابن الأصغر عن قطع الرحم وأقول له مشفقاً عليه مما يعانیه من تمزق وإحساس مؤلم بجرح الكرامة كشاب اهتزت أمامه بعنف صورة الأم ، إن الله عز شأنه الذى فرض للأُم حقوقها الكاملة على أبنائها

ورفعها إلى منزلتها العالية في نفوسهم وعقولهم وضمايرهم، هو أيضاً سبحانه وتعالى مَنْ فطرها في نفس الوقت على حب أبنائها والرفق بهم والحدب عليهم وطلب سعادتهم وإعلاء مصلحتهم فوق كل اعتبار لديها ، فإذا أُخِلَّت مثل هذه الأم بواجباتها الدينية والأخلاقية تجاه أبنائها وانطلقت في الحياة تطلب متعها من أى مورد كما يفعل الوثنيون الذين لم يعرفوا ديناً ولم تصلهم رسالة سماوية ، فلقد خرجت إذن عن فطرتها التي فطرها الله عليها وأنزلت هذه الأم نفسها بيدها عن عرشها ورضيت بما تدهورت إليه من الدرك الأسفل .. ولا يحق لها كثيراً أن تتباكى على وفاء أبنائها لها .. لأنها لم تف هي لهم من البداية بحقوقهم عليها .

وإذا كان الأمل ضعيفاً بالفعل في أن تستجيب هذه السيدة لأى علاج نفسى منتظم ، لأنها كما فهمت من رسالتك ترفض الاعتراف بحاجتها إليه . ولن تصبر على عنائه لعام طويل على الأقل وربما لعامين .. فليكن إذن قربانها لأبنائها لكي يصفحوا عما فعلت بهم ويتعالوا على كرامتهم الجريحة كرجال هو أن تندم ندماً حقيقياً وليس مزيفاً على نهجها السابق في الحياة وأن تنتظم في العلاج النفسى حيث تقيم وتلتزم بالقيم والفضائل في حياتها الشخصية، فيكون ذلك مدخلاً مقبولاً لأن يصلها أبنائها ويترفقوا بها .. أما أن تصر على مواصلة سيرتها في الحياة كما هي وتطلب من أبنائها الرفق والرحمة.. فالرد عليها في مثل هذه الحالة هو : ولماذا لم ترحم هي أبنائها الشباب وتحفظ عليهم كرامتهم

ورجولتهم وسمعتهم ومكانتهم بين أقرانهم وهى تغوص فى بحر الخطيئة بلا ندم ؟

إن بعض الصوفية يقولون إن « حرارة القلوب تذيب الذنوب » وحرارة القلوب هنا هى الندم الصادق الحقيقى والرغبة الطاغية فى التطهر من الإثم ، فلتثبت هى أولاً « حرارة قلبها » لكى تستحق بذلك عطف أبنائها ، وليرح ابنك الأصغر ضميره مما يؤرقه فما ظلم أمه هو أو شقيقه وإنما كانت هى مَنْ ظلمتهما كما ظلمتك وظلمت نفسها .. « ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظالم للعبيد » ١٨٢ آل عمران .. صدق الله العظيم .. ولو لم يكن سقوط اعتبار مثل هذه الأم فى نظر أبنائها هو العائد الطبيعى لمثل هذا الانحراف الشائن، فأى رادع آخر يمكن أن يردعها عن غيها ما دامت لا تخشى الله واليوم الآخر ؟

إننى أطالب أبناءك فقط بألا يزجروا أمهم حين تتصل بهم رعاية لحدود ربهم وليس رعاية لها وأن يجيبوا مكالماتها بتحفظ مهذب ويتمسكوا برفض مجيئها إليهم أو سفرهم إليها كما تطلب ، إلى أن تقدم هى ما يثبت لهم أنها قد أنكرت سيرتها السابقة فى الحياة وعدلت عنها ، ولا بأس أن يتبادلوا معها كلمات التحية المقتضية فى الأعياد والمناسبات ، قربى لربهم وإعانة لها على إصلاح نفسها ، أما ظهورها فى حياتهم الآن ولما تبرأ بعد من انحرافها ، فليس من المستحب لهم بالفعل حرصاً على معنوياتهم وأخلاقياتهم وفرصهم العادلة فى السعادة والارتباط بشريكات الحياة .

## السؤال الأهم

قررت أن أكتب لك منذ عدة سنوات وها قد شاءت الأقدار لي أن أكتب لك الآن ، فأنا سيدة في الثالثة والثلاثين من عمري .. ارتبطت وأنا صبية في سن الرابعة عشرة عاطفياً بفتى يماثلني في السن ومن جيراننا .. ولم تتجاوز صلتى به في البداية النظرات والإشارات إلى أن تبادلنا الاعتراف بالحب وتعاهدنا على أن يكون كل منا للآخر مهما طال الزمن ، واستمرت علاقتنا العاطفية ثمانى سنوات كاملة ثم تقدم فتاى لأسرتى طالباً يدي ورفضته الأسرة في البداية بسبب تقارب السن ، ثم رضخت في النهاية لرغبتى وتمت الخطبة وأنهينا دراستنا .. وعمل خطيبى وعملت أنا أيضاً .. وتم الزفاف بعد قصة الحب الطويلة التى تملكتنى منذ صباى ، وبعد بضع سنوات من الزواج تبين لى ولزوجى أننى غير قادرة على الإنجاب ، فبدأت معاملة أم زوجى لى تتغير بعد أن كانت بمثابة الأم الحنون بالنسبة لى ، وبدأت تحث ابنها على الزواج من أخرى من أجل الإنجاب ، ورفض زوجى فى البداية لأننى حب العمر بالنسبة له ، لكن استمرار الإلحاح عليه دفع به فى النهاية إلى الضعف .. فجاء يضع الأمر بين يدي ويسألنى عن رأىى .. وبكى وأنا أبلغه عن موافقتى على

زواجه لكنه كان يعرف جيداً أنني لم أفعل ذلك إلا إرضاء له ،  
فعدل عن فكرة الزواج وصارح أمه بالرفض ، وتصورت أن الأمر  
قد انتهى عند هذا الحد ، لكن والدته لم تياس من الإلحاح عليه  
بفكرة الزواج وفوجئت به يقبل بها بعد شهور ويعرض على الأمر  
مرة أخرى .. ولم أستطع هذه المرة المقاومة ، وكتمت حسرتى فى  
قلبى واعتصمت بالصمت .. فتزوج زوجى من فتاة اختارتها له  
أمه مع احتفاظه بى ، ولن أصف لك ما شعرت به خلال هذه  
الفترة ، وإنما أقول لك إننى قد رضيت بما كرهته لنفسى لكن  
زوجته الأخرى هى التى لم ترض بواقعها مع أنها قد قبلت  
بالزواج منه وهو متزوج ، فراحت بعد أن أنجبت منه طفلاً تضغط  
عليه لكى يطلقنى وشاركتها والدته زوجى فى الضغط عليه بدعوى  
أن حياته قد استقرت مع الزوجة الجديدة بالإنجاب ، وأن وجودى  
فى حياته لن يعنى له سوى المشاكل والاضطرابات .. وأدركت أنا  
حيرة زوجى وتمزقه بين حبه لى وضغط زوجته ووالدته عليه ،  
فقررت أن أعفيه من عهده معى .. وطلبت منه الطلاق لكى أوفر  
عليه الحرج ، وافترقنا بالدموع .. وبلا مرارات ..

وعشت حياتى أحاول تضييد جراحى .. وتابعت عن بعد أخبار  
الرجل الذى أحببته وأنا صبية فى الرابعة عشرة من عمري ،  
وعرفت أنه قد أنجب طفلاً ثانياً ، ثم تقدم لى رجل متزوج ولديه  
أبناء يرغب فى الزواج منى بحجة أن زوجته مريضة ولم تعد  
قادرة على تلبية احتياجاته ، ولم أجد فى نفسى أية رغبة فى  
تكرار مأساتى الشخصية مع زوجة أخرى ، فاعتذرت عن عدم  
قبوله .. وقلت لأهلى أننى لا أشعر بأننى قد أصبحت مستعدة بعد

للارتباط برجل آخر بعد الرجل الذى أحببته ٨ سنوات قبل الزواج .

والحق أننى كنت صديقة فى ذلك مع نفسى، فلقد كنت مازلت أحب هذا الرجل .. ولم أتخلص بعد من تأثيره على شخصيتى وأفكارى، وكرهت أن أرتبط برجل آخر ما زال قلبى ممتلئاً بغيره . ومضت خمس سنوات، فوجئت بعدها بمصرع زوجة فتاى القديم فى حادث طريق مؤلم .. وانقبض صدرى لما سمعته .. ثم مضت عدة شهور وإذا بى أراه فجأة فى مجال عملى وأرى نظرة الاشتياق فى عينيه .. وقال لى إنه قد جاء للاطمئنان على، فتجنبت النظر فى عينيه لكيلا نرطب نظراته النبع الجاف فى داخلى فتندفق مياهه مرة أخرى .. وانتهت الزيارة بسلام ، ووجدتنى مشغولة الفكر والخاطر به .. ولم يمض وقت طويل حتى رجع مرة أخرى ، ثم تكررت الزيارات إلى أن اضطررت لأن أرجوه عدم تكرار الزيارة حتى لا يثير حولى الأقاويل فى مكان عملى .. فإذا به يصارحنى برغبته فى أن نستكمل قصة حبنا وزواجنا التى تدخلت - كما يقول - الظروف وحالت دون استكمالها !

ووجدتنى أرفض عرضه على الفور دون تفكير بل ووجدنى ألومه فى أعماقى واتهمه بأنه قد تخلى عنى وهجرنى ست سنوات ودخلت حياته امرأة أخرى، فلما تدخلت الأقدار وانطوت صفحة حياتها القصيرة .. جاء يريد استرجاع سنوات الحب الضائعة بمثل هذه البساطة ؟

وقلت له ذلك فقال لى إنه لن يلومنى إذا رفضته لكنه يرجونى فقط أن أعيد التفكير فى الأمر وألا أسمح لكرامتى الجريحة بأن تختار لى طريقاً لا يريده قلبى .

ووعدته بالتفكير .. واستشرت أهلى، فلم أجد منهم رفضاً لعودتى له لعلمهم بحبى له منذ عشرين سنة ولأننى أيضاً كنت قد أصبت بالاكتئاب بعد طلاقى منه لمدة عامين ، لكنى لم أستطع بالرغم من ذلك أن أتخلص بعد مما أشعر به من مرارة تجاهه . وكلما استشرت صديقة لى فى قصتى ظننتها قصة من قصص السينما وليست من واقع الحياة .

وأنتى أسألك يا سيدى هل من العدل بعد أن تخلى عنى زوجى السابق وتزوج من أخرى أن أرجع إليه الآن لأنه يحتاجنى لتربية طفليه ، أوليس من حقى أن أرفضه .. كما رفضنى يوم استجاب للضغط عليه وطلقنى ؟

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

من حقك بالطبع أن ترفضيه .. وأن تشعرى تجاهه بالمرارة لاستجابته لضغوط زوجته الراحلة عليه ووالدته للتخلى عنك بعد ١٥ عاماً من الارتباط العاطفى الوثيق .. لكن السؤال الأهم يا سيدتى هو : وماذا لو لم يكن زوجك السابق قد عرض عليك استكمال قصة الحب والزواج التى حالت الظروف المؤلمة دون استكمالها ..؟ ألم تكن مرارتك تجاهه ستكون أعمق غوراً من مرارتك منه الآن ..؟ أو لم تكونى ستشعرين باللوم الأعظم له لأنه وبعد أن أتاحت له الأقدار استكمال القصة الحقيقية فى حياته .. لم يفكر فى تعويضك عما تسبب لك فيه من آلام وأحزان .. ولم يقبل هذه الفرصة القدرية التى لا تتكرر فى الحياة كثيراً لتصحيح الأخطاء السابقة ؟

أغلب ظنى أن لومك له لو لم يفعل ذلك كان مقدراً له أن يكون أشد وأعمق ، وفى تقديرى أنك لا ترفضينه الآن رفضاً

حقيقياً ونهايئاً .. وإنما تشعرين فقط بأنك لم تستأديه بعد  
ضريبة التكفير الكافية عن تخليه عنك وانصرافه إلى زوجته  
الراحلة وطفليه دونك ، ولا شك فى أنها رغبة مؤقتة فى  
الانتقام العاطفى ستأخذ دورتها الزمنية ثم تطفى مكانها  
لمشاعر الحب المتأصلة منذ الصغر وللرغبات الحقيقية التى  
تتوارى الآن وراء اعتبارات الكرامة الجريئة ، ولهذا فإننى لن  
أنصحك برفضه ولا بقبوله وإنما سوف أنصحك بالصدق مع  
نفسك وبتحرى رغباتك الحقيقية ثم اتخاذ قرارك بعد ذلك  
على ضوء ما تنتهين إليه من استقراءاتها والاعتراف بها  
لنفسك.

وعلى أية حال ، فلقد كان من المنطقى أن ترفضى عرضه  
عليك بالعودة لعصمته للوهلة الأولى .. مدفوعة فى ذلك  
باعتبارات الكرامة وأيضاً باعتبارات « الشك » فى أن رغبته  
فيك ليست مبرأة تماماً من الدوافع العملية ، أى من حاجته  
الاضطرارية بعد رحيل زوجته إلى أم بديلة لطفليه  
الصغيرين.. وبالرغم من مشروعية هذا الدافع وإنسانيته إلا  
أن كرامتك الجريئة كأنثى تحتاج إلى أن يشعرك زوجك  
السابق بأنه لا يفكر فيك كأمر بديلة ، وإنما كحبيبة قديمة  
حالت بينه وبينها الظروف القاهرة ، وعلى قدر نجاحك فى  
إقناعك بذلك ستختصرين فترة معاناة النفس والقلب ..  
وتقبلين بما تريدينه فى أعماقك منذ البداية لكنك تشعرين  
بحاجتك إلى مزيد من الترضية والتكفير قبل أن تمضى إليه .  
والأقدار يا سيدتى قد تتولى أحياناً حل بعض المشاكل التى  
يستعصى على البشر حلها بقدراتهم المحدودة ، ولقد شاءت



الأقدار التي فرقت بينك وبين حب العمر من قبل أن تتيح لكما الفرصة من جديد لاجتماع الشمل ، ولتعويضك عن حرمانك من الأمومة بهذين الطفلين اللذين ينتسبان إلى مَنْ أحببته وأنت مازلت في الرابعة عشرة من عمرك .. ففيم التردد إذن ؟ ولماذا لا تعطين لنفسك الوقت الكافي لتذويب المرات وإخلاء الإناء من رواسبه القديمة .. ثم تتفتحين بعد حين للحب .. وللأمومة مع زوجك السابق وطفليك الصغيرين هذين ؟

## نداء فى الليل !

أكتب رسالتى هذه من أجل جارة لى أرجو أن تجد لديك ما يخفف عنها بعض ما أمتحنت به من اختبارات الحياة ، فلقد نشأت هذه السيدة فى أسرة بسيطة ولأب مثقل بالأعباء وتزوجت كما يتزوج البسطاء من إنسان طيب لكنه محدود الدخل ومع ذلك فلقد سعدت بحياتها البسيطة المتقشفة معه .. وشعرت بأن الحياة قد كافأتها به ونعمت بالاستقرار معه ، فإذا بهذا الاستقرار لا يطول لأكثر من عامين فقط ثم يرحل زوجها عن الحياة إثر حادث أليم للسيارة النقل التى كان يقودها ، وواجهت السيدة الشابة أقدارها كأرملة حائرة فوق ذراعها طفل لم يتجاوز عمره عاماً واحداً ، وفى أحشائها جنين لم يقدر لأبيه أن يشهد مولده ، واضطرت لمواجهة الحياة وحدها بعد أن أصبحت مسئولة عن حياتها وحياة طفلها ثم طفلتها التى جاءت للحياة بعد رحيل الأب . وليس لها أى من معين سوى تعاطف أهل المنطقة التى تقيم بها معهم ، فعملت كدادة بإحدى المدارس بعقد مؤقت وبمرتب ضئيل ، وراحت تعمل ليل نهار بلا كلل ، ولا ملل لكى تعول طفلها ، ورفضت الزواج بإصرار شديد بالرغم من شبابها وصغر سنها ،

وفضلت أن تكرر حياتها لطفليها قائلة لمن يعرضون عليها الارتباط أنها قد جربت حظها فى الزواج مرة واحدة .. وسعدت بها ولكن مسئوليتها عن طفليها تدفعها لأن تتفرغ نهائياً لهما ..

ومضت بها رحلة العمر بحلوها ومرها ، والطفلان يدرجان فى مدارج العمر أمامها ويزدادان التصاقاً بها وحباً لها يوماً بعد يوم وتزداد هى فناءً فيهما ، حتى أنهى الابن دراسته المتوسطة وحصل على الدبلوم وخرج إلى الميدان ليعمل ويساعد أمه وأخته الطالبة الجامعية بدخله الجديد على مواجهة اعباء الحياة ، وبدأت حياة هذه الأسرة المكافحة تعرف بعض اللين ، وبدأت الأم تشعر بالرضا عن كفاحها الذى أثمر هذا الشاب المتعلم الطيب وهذه الفتاة الجامعية الذكية ، فإذا بالسماء تتجهم من جديد لهذه الأم .. وإذا بابنها الشاب الذى لم يتجاوز عمره الثانية والعشرين يلقى مصرعه فى حادث سيارة .. كما لقى أبوه مصيره قبل واحد وعشرين عاماً .. وإذا بالأم ترفض تصديق ما حدث وتمتنع عن الطعام والشراب تماماً وتستسلم لنوبات من الفزع الليلى لتنهض خلالها من نومها أو من غيبوبتها على الأصح .. وهى تهذى بالنداء على الابن الفقيد .. وترفض الذهاب إلى عملها ، ومغادرة الغرفة التى تقيم بها أما ابنتها فلقد أصيبت بانهيار عصبى وآلام حادة فى المعدة ، فسرها الطبيب بأنها آلام نفسية أكثر منها عضوية .

إن كل ما أطلبه منك هو أن تفكر فى طريقة ، لإخراج هذه الأسرة الحزينة من محنتها ، فلقد عجز الجميع من حولها من الجيران والأقارب عن أن يفعلوا شيئاً يخرجها من حالتها ، ولهذا

فلقد تركنا لك هذه المهمة الصعبة وأرجو أن يوفقك الله فيها  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

من أشد أحزان الحياة مرارة على النفس أن يفجع المرء فى  
ثمرة القلب وهو يتهاياً بعد رحلة العناء الطويل لاستقبال  
نسائم الراحة .. والابتهاج بالحياة بعد طول الانتظار ، غير  
أن الإنسان لا يملك فى النهاية إزاء آلام الحياة واختباراتھا إلا  
أن يستعين بإيمانه بربه على ثبات القلب أمام الأعاصير  
القاسية .. مسترجعاً ما أنبأنا به الرسول الكريم صلوات الله  
وسلامه عليه من أن أمر المؤمن كله خير أن أصابته سراء شكر  
فكان خيراً له وأن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس  
ذلك لأحد - كما أنبأنا الحديث الشريف - إلا للمؤمنين ، لأنهم  
يعلمون أن كل شىء فى الوجود مصدره رب الوجود سبحانه  
وتعالى ، فإن أصابهم خير علموا أنه من عند الله وشكروا من  
منح وأعطى وأن أصابهم شر علموا أن الله سبحانه وتعالى  
حكمة فيه تجل عن إفهامهم ولهم أن صبروا عليه الأجر  
العظيم وبشرى السماء للصابرين .

ولقد جاء فى الحديث الشريف أيضاً أن الله سبحانه  
وتعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار،  
فمنهم مَنْ يخرج كالذهب الأبريز لا يربد ومنهم دون ذلك  
ومنهم مَنْ يخرج أسود محترقاً .

فلندع الله معاً يا سيدتى أن تكون هذه الأم المكلومة ممّن  
يخرجون من البلاء كالذهب الأبريز لا يربد ولا يصدأ .

ولقد تعينها الرحلة إلى الأراضى الحجازية ، وأداء شعائر  
الحج أو العمرة حسبما تسمح الظروف ، على تمالك نفسها  
واستعادة ثبات قلبها وقدرتها على استكمال رسالتها مع  
ابنتها ولسوف أرسل إليها بمن يتحدث إليها ويدرس ظروفها  
ويحاول إخراجها من عزلتها .. وإعانتها على أمرها .. وشكراً  
لك على اهتمامك بأمرها والسلام .

## نار الكراهية

أنا أب لمهندس شاب تزوج من زميلة له ، وعاش معها فى سلام وأنجب منها طفلاً وطفلة ، ثم تعرض ابنى خلال عمله . لإصابة فى شبكية العين وأجريت له عملية جراحية وأمره الطبيب بأن يستسلم للرقاد على ظهره فى الظلام لفترة طويلة . واختار ابنى أن يقضى هذه الفترة فى بيت والديه ليضمن الهدوء والالتزام التام بتعليمات الطبيب ، فما أن علمت زوجته بذلك حتى امتنعت عن زيارته فى بيتنا مع قرب المسافة بين مسكن الزوجية وبيتنا ، وتمادت الزوجة لأسباب غريبة بعد ذلك فى موقفها ، وطلبت الطلاق ، وحصلت عليه وتنازلت عن الطفلين ، وكان عمر الأكبر حين وقع الانفصال ثلاث سنوات والطفلة عامين ، واستردت أمهما منقولاتها وتنازلت عن الشقة ، وبعد محاولات فاشلة للصلح بين الطرفين تزوج ابنى من أخرى وتزوجت هى كذلك من آخر ، وبعد زواجها بفترة اتجهت إلى القضاء لطلب إلغاء تنازلها عن الطفلين ، وقضت لها المحكمة بما أرادت ، ولا بأس بذلك ، مع أننا لم نتأخر أبداً عن تلبية طلبها لرؤية الطفلين أو استضافتهما عندهما فى المناسبات والأعياد كلما رغبت فى ذلك ، وتوقعنا أن تعاملنا مطلقة ابنى بالمثل بعد أن أصبح الطفلان فى

حوزتها ، فإذا بها تمنعهما من رؤية أهل أبيهما وتتشفى فينا بهذا المنع ، ويساندها والدها فى ذلك ويطلب من الوسيط إبلاغنا بأن علينا أن نقيم دعوى قضائية لرؤية الطفلين ، ولم نقم هذه الدعوة بالطبع ، وما زلنا محرومين من رؤية الحفيدين ، وما زال الطفلان محرومين من أهل أبيهما .. والأكثر من ذلك أن والدتهما تبث فيهما روح الكراهية والعداء تجاهنا ، فلقد ذهبت إلى مدرسة الطفلة لأراها ، فما أن رأتنى حتى اكفهرت وانزعجت واشاحت بوجهها عنى .. وهى الطفلة نفسها التى كانت نغمرنى بقبالاتها من قبل ولا يحلو لها النوم إلا على صدرى ..

فهل هذا هو ما تريده هذه الأم الشابة لابيها وهو أن يتشربا الكراهية لأهل أبيهما فى هذه السن الصغيرة ؟ وهل تضمن ألا تمتد إليها هى نفسها نار الكراهية من جانب هذين الصغيرين حين يكبران ، وبعد أن يكونا قد تعلمتا على يديها كيف يكرهان أقرب الناس إليهما ؟

وأين هى من كلمات ربها التى تتوعد قاطع الرحم ، فتشجع صغيرها على قطع رحمهما من الآن ؟!

إننى أرجوك أن تنصحها وتحذرها من غضب ربها .. وحسبنا الله ونعم الوكيل .

### ولكاتب هذه الرسالة أقول :

بغض النظر عن الأسباب التى أدت إلى انهيار العلاقة الزوجية بين ابنك وزوجته السابقة .. وأياً كانت هذه الأسباب ، فإنه ليس من إحسان الأم إلى ابنيها أن تغرس فيهما روح الكراهية لذوى رحمهما ولا أن تباعد بينهما وبينهم ، فالإنسان يحتاج إلى أهل أبيه كما يحتاج إلى أهل أمه وكلما

كثر ذووه وتعمقت علاقته بهم وعلاقتهم به أمن أشواك الطريق ووجد إلى جواره مَنْ يهتمون بأمره ويقلونه من عثرات الحياة عند الضرورة ، بل ازداد إحساسه الشخصي بعزته وجدارته ، وخلت نفسه من مرارة الإحساس بانعدام النصير . وتشجيع الصغير وفي مثل هذه السن المبكرة التي يستقبل فيها مؤثرات القائم على تربيته دون قدرة على الفرز والتمحيص واستبعاد الفاسد منها ، والتي يتحدد فيها أيضاً الكثير من سمات تكوينه النفسي الذي سيصاحبه بقية العمر ، تشجيعه على تعلم الكراهية بدلاً من الحب والشك في أقرب الناس إليه بدلاً من الاطمئنان إليهم ، والنفور من ذوى رحمة بدلاً من اقترابه منهم وتمنعه بحنانهم وحمايتهم النفسية ، كل ذلك لن يقدم إلى الحياة في النهاية إلا إنساناً مضطرب المشاعر ممرور النفس أقرب للاستعداد لكراهية الآخرين من الاستعداد لقبولهم نفسياً والاستجابة الإيجابية لمشاعرهم ، فكأنما قد حكم عليه مَنْ غرس في روحه هذا البغض للأهل في الصغر ، بأن يحيا حياته بإحساس العاجز عن حب الآخرين واكتساب مودتهم .. والتواصل الطبيعي معهم .

ولا عجب في ذلك لأن النار حين يشتعل ضرامها ، فإنها لا تنتشر بطريقة انتقائية فتتفادى هذه البقعة وتحرق تلك ، وإنما تتجه ألسنتها بقوة الدفع الذاتية في كل الاتجاهات ، وليس بمستبعد على مَنْ رضع الكراهية من ثدى أمه لأبيه وجده وجدته أن تمتد كراهيته عند أول مفترق للطرق إلى مَنْ أرضعته لبان البغض وكره الآخرين من قبل ، ولهذا فإنه بالمنطق النفعي وحده ليس من صالح أى أم أو أب أن يغرس



فى نفوس صغاره كراهية أحد الطرفين أو ذويه .  
أما بالمنطق الدينى والأخلاقى ، فىكفى قاطع الرحم  
ما جاء فى الأثر عن عائشة - رضى الله عنها - عن النبى ﷺ -  
من قوله : « الرحم معلقة بالعرش تقول : مَنْ وصلنى وصله  
الله ، وَمَنْ قطعنى قطعه الله » صدق رسول الله صلى الله عليه  
وسلم .

فإذا شاءت هذه الأم الشابة لنفسها وصغارها أن يقطعها  
ويقطعهم ربهم جل شأنه ، فهى وما اختارت لنفسها ، وإن  
شاءت غيره فالطريق واضح وقصير ، ولا يحتاج إلى دليل !

## الموقع الأخير

أنا سيدة على مشارف الأربعين من العمر متزوجة منذ ١٤ عاماً ولى ٥ أطفال أكبرهم فى الصف الخامس الابتدائى وأصغرهم يبلغ عاماً ونصف العام .

وأعمل موظفة بإحدى المصالح الحكومية . ومشكلتى هذه التى أعانيها .. وأصبح أطفالى الأبرياء يتقاسمونها معى الآن دون ذنب سببها زوجى ووالد أبنائى ، فهو دائم التنقل والترحال دون هدف على الرغم من أنه رجل طيب ومحب جداً لأولاده وخريج إحدى الكليات النظرية ومتفوق جداً فى عمله وبشهادة رؤسائه وزملائه فى الأوقات التى كان يعمل فيها ، كما أنه يجيد أيضاً بعض الحرف المهنية ، وبالرغم من كل ذلك ، فإنه فجأة وبدون مقدمات يترك عمله ونترك شقتنا وأحمل أولادى ونرحل سواء إلى خارج مصر أو إلى مدينة أخرى داخل مصر . إن محل ميلاد كل طفل من أطفالى من واقع شهادة الميلاد مختلف عن الآخر تماماً ، كما أنه إذا فحصت الملف الدراسى الخاص بإحدى بناتى ، فستجد أنها كانت تدرس كل عام فى مدرسة غير العام الذى يليه ، ونحن أسرة بلا جذور تقريباً وبلا ذكريات وقد قممت بحصر الشقق والمنازل التى أقمنا بها ، فوجدتها أكثر من ١٧ شقة ومنزلاً ، فهل

تتخيل يا سيدى أن أطول مدة كنا نقيم فيها فى مدينة ما كانت لا تزيد على سنة ، وأنه أحياناً كان ينتقل بنا إلى شقة أخرى داخل المبنى نفسه الذى نقيم فيه ، لقد استنفدت فترات الإجازات السنوية المقررة وانتدبت إلى معظم محافظات الجمهورية حتى أن زملائى وزميلاتى فى الإدارة الأم التى أعمل بها يشفقون على ويتساءلون بين أنفسهم مما يضعنى فى حرج شديد ، ومنذ عامين وبعد عودتنا من آخر رحلة خارج مصر أتفق معى على الاستقرار فى مصر واتجهنا بالفعل إلى إحدى المدن الجديدة ، وقام زوجى بافتتاح مشروع جديد يتعلق بإحدى المهن التى يجيدها واستخرج كل الأوراق المطلوبة من رخصة وبطاقة ضريبية وسجل تجارى ونجح بالفعل مشروعنا الجديد هذا والتحق أولادى بالمدارس وأحسست بأن أبواب الفرص ستفتح أمامى ، غير أنه وكالعادة أغلق زوجى مشروعه وتركنا الشقة رقم ١٥ أو ١٦ وسافرنا إلى محافظة أخرى وهى التى أقيم فيها الآن وقمت بعمل انتداب جديد لى وتحويل أوراق أولادى إلى مدارس تلك البلدة الجديدة واستأجرنا شقة جديدة وهى رقم ١٧ أو ١٨ ووعدنى زوجى بالاستقرار فى تلك البلدة غير أنه قام أيضاً بتغيير الشقة فوافقته وبكيت أمامه وتوسلت إليه وأقسمت بأننى لن أترك هذه المدينة أبداً لأننى تعبت أنا وأولادى وبدأ الضعف يزحف إلى جسدى ووعدنى بالاستقرار .

و ذات ليلة فوجئت بزوجى يقبل أولادى وهم نيام حوالى الساعة الثالثة صباحاً ويحمل حقيبة سفر وعندما سألته عن السبب قال إنه سيرحل وسيخبرنى بمكانه عندما يستقر ، إننى لا أعرف سر هروب زوجى الدائم هذا رغم أنه طيب جداً

وصحيفته بيضاء وليس له أى أصدقاء وليس له فى هذه الدنيا سوانا ، ولقد اتصل بى زوجى حتى الآن من حوالى أربعة أماكن مختلفة وأرسل لى ذات مرة مع أحد السائقين مبلغ ٦٠ جنيهاً علمت فيما بعد بأنها كانت كل ما يملك وعلمت أيضاً أن نوبات الصداع الشديد تهاجمه بشدة .

وأصبحت أواجه الحياة بمفردى وظهرت مشكلة أخرى فى حياتى وهى أن لى ابناً يبلغ من العمر ٤ أعوام شديد التعلق بوالده وأصيب باكتئاب بعد غياب أبيه وفقد كثيراً من شهيته وعندما أتصل زوجى بى مرة وأخبرته بحال ابننا حضر فى اليوم نفسه وأخذ معه طفلى المسكين ورحلا الاثنان وطلب منى السماح لأنه ليس بيده شىء .

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

لا شك فى أن زوجك يعانى بالفعل اضطراباً سلوكياً يدفعه إلى التجوال الدائم فى أرض الله الواسعة .. وقد يكون هذا الاضطراب شكلاً مخففاً من أشكال الفصام الحركى الذى يدفع صاحبه للتحرك المستمر ليل نهار ، فيعرضه للانهاك الجسدى ، ويؤدى به أحياناً إلى العجز عن أداء أى عمل على الوجه السليم ، وربما يكون كذلك نوعاً من مزاج الهروب النفسى الذى يدفع صاحبه للانتقال الدائم من مكان إلى مكان ، كأنما يهرب من شىء مجهول أو كأن هناك أقداراً خفية تطارده ويسرع بالفرار منها ، وفى كل الأحوال ، فإن هذا الاضطراب السلوكى يمكن احتمال آثاره الاجتماعية إذا كان من يعانى به فرداً غير مسئول سوى عن نفسه ، أما حين يكون زوجاً لزوجاة وأباً لخمسة أبناء ، فإن الأمر يستدعى بالفعل البحث

عن علاج له لدى الاخصائي النفسى ، كما أن عليك أنت أيضاً  
مسئولية كبرى فى مقاومة هذه النزعة الجبرية لديه للحركة  
والانتقال من مكان إلى مكان .. وذلك بالتشبث بالموقع الأخير  
الذى رست فيه سفينتكم الجوالة فى كل البحار ، ورفض  
مغادرته نهائياً ومهما كانت الأسباب والمبررات ، وعلى زوجك  
ابتداءً من الآن إذا أصر على مواصلة حياة البحارة الذين  
لا يطول بقاؤهم فى كل ميناء سوى يوم أو بعض يوم ، أن  
يسلم بأنه من الأفضل له ولأسرته أن تكون له « قاعدة » آمنة  
يبحر منها وحيداً حين يلح عليه نداء الرحيل ، ويرجع إليها  
متعباً ليجد الراحة والأمان حين يطول به التجوال ..  
وما أعجب ما يتكشف لنا كل حين من غرائب النفس البشرية  
وألغازها الغامضة !

## البيت الجميل !

أكتب لحضرتك وأنا أبكى من عيني وقلبي ولا أعرف ماذا « أعمل » فى مشكلتى وأنا بصراحة كنت لا أقرأ المشاكل التى تكتبها لكن وجدت ماما مرة تقرأها ، فكتبت لك يمكن بابا وماما « يقرأوا » مشكلتى : فأنا عندى ١٠ سنوات وأخى عنده ١٢ سنة ونعيش وحدنا فى شقة وضعنا فيها بابا لما أخذنا من ماما ، لأن بابا وماما « مطلقين » وبابا متجاوز وعایش فى شقة ثانية وماما عایشة مع والديها وبابا أحضر لنا مربيات كثيرات و « كلهم » « وحشين » وبابا « غيرهم » وآخر واحدة مشيت لأن بابا عرف أنها حرامية وسرقت حذاء لى وملابسنا ، والتى قبلها كانت بتحضر « رجال » إلى البيت واحنا نأيمین أو لما نروح المدرسة ، وأنا دلوقتى مع أن عمرى ١٠ سنوات بأعمل الأكل كل يوم فى المساء علشان تانى يوم وكمان بأغسل الغسيل على غسالة عادية والأطباق والحل بعد كل وجبة وأخويا قليل لما يساعدنى لأنى بنت ، وتنظيف البيت كله عليه ، ولا أجد الوقت للمذاكرة بعد أن كنت أيام ماما متفوقة ، وربنا يستر وبنجح آخر السنة ، وبابا قليل لما يحضر وینام معنا فى البيت ولا يريد أن نختلط بأحد ومنبه علينا ألا نقول لأحد من الجيران إننا نبیت لوحدا وكمان ألا نقول لماما

لدرجة أننى لما أكبر واتجوز مش حاجيب أولاد يتعذبوا زينا ،  
وبابا محلفنى أنا وأخى على المصحف أننا ما نكلمش ماما ولا  
يسمح لنا بأن نشوفها إلا مرة واحدة كل اسبوعين وأنا وأخى  
بنحب ماما جداً ونوفر من مصروفنا لكى نشترى كارت تليفون  
ونكلمها من الشارع وأحنا راجعين من المدرسة وربنا يسامحنا ..  
وماما قعدت بعد طلاقها من بابا سنين مش راضية تتجوز لغاية  
من ٣ سنين لما بابا أخذنا منها اتجوزت وسافرت ورجعت  
واتطلقت ، وطلبت أن نعيش معها لكن بابا رفض علشان يعذبها ،  
وبيقول إذا كانت عايزة تأخذنا فهو دس هيجسرف علينا ولن  
يعطينا الشقة وإحنا ما نقدرش نعيش مع ماما فى بيت والدها لأن  
خالى متجوز ويعيش مع والديه واى مربية حتيجى لو وجدها بابا  
حتسينا لوحدنا وتخرج زى كل المربيات .. ما عملوا .. فلماذا لا  
نعيش مع ماما وهى نفسها تعيش معنا وتخدمنا ونحن كذلك ؟

وهل ممكن يا عمو تلاقى ماما راجل يتجوزها ويرضى نعيش  
معاه فى شقته ويربينا زى أولاده ويحبنا أكثر من بابا ، إننا نزور  
بابا فى بيته « الثانى » الجميل وبيقول لنا أنه لا يقدر يأخذنا  
نعيش معاه فى بيته الجميل وأحنا ساعات بنحس أنا وأخويا أنه  
ما بيحبناش .

وماما بتقول عيب يبقى فيه محاكم بينها وبين بابا ..  
أنا كان نفسى أكون دكتورة وأخويا كان نفسه يكون  
« مهندس » لما تكبر وماما كانت بتشوف دروسنا وبتغسل لنا  
ملابسنا وتعمل لنا الأكل وكل حاجة وكنا شاطرين وياريت نرجع  
زى زمان .

وأنا كتبت لك لأنى عندى مدرسة فى المدرسة بأحبها قوى

لقيتني مرة بأعيط في المدرسة لوحدي وصممت تعرف ليه  
وحكيت لها وقالت لي إنه كان عندها بنت وماتت وأنا زى بنتها  
وقالت أكتب لحضرتك لأنها بتقرأ لك زى ماما وممكن تساعدني  
وتلاقى لماما رجل متدين عنده بيت وليس عنده أولاد ويحب أننا  
نكون أولاده .. فهل ممكن تساعدنا في هذا .. أنا وأخويا حنشتري  
الأهرام كل يوم جمعة لغاية ما ترد علينا لأننا عايزين حل  
بسرعة.. والسلام عليكم !

### ولكاتبه هذه الرسالة أقول :

لو كان الأمر بيدي لحاسببت أباك حساب الملكين عن  
إصراره بغير رحمة على أن يمنع والدتكما من الحياة معكما  
في المسكن الذي تعيشان فيه وحيدين الآن إلى أن يقضى الله  
أمرأ كان مفعولاً .. أو تتزوج أمكما ذات يوم من رجل غرس الله  
في قلبه الرحمة بالصغار ، فيقوم منكما مقام الأب الغائب  
عنكما لكن ماذا نقول في عناد بعض الآباء مع بعض الأمهات  
الذى لا يدفع ثمنه الفادح سوى الصغار الأبرياء ؟

وماذا نقول لمن يرضى لطفلته وابنه الصبى بأن يعيشا  
وحيدين تماماً في مسكن مستقل وفي استطاعته أن يأمن  
عليهما في رعاية أمهما مهما كان تاريخها السابق معه أو  
تاريخه معها ، أليس ذلك أكرم وأرحم من أن يأتيهما بمربية  
تستقبل الرجال خلال نومهما أو غيبتهما ، أو ليس ذلك أفضل  
وأرعى لهما من أن يأتيهما بأخرى تدعهما لنفسيهما أكثر  
الوقت مع ما في ذلك من مخاطر تربوية عديدة عليهما ؟

إن الشذوذ هو اللجوء إلى شيء بديل مع وجود الشيء  
الأصيل و « الشيء الأصيل » هنا هو الأم الطبيعية لكما التي



ليست الآن في عصمة زوج ولا شيء يمنعها من رعايتكما  
والإقامة معكما ، فماذا يسعد أباك في أن يحرمها منكما  
ويحرمكما منها ؟

لقد نهانا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من أن  
نفرق بين الأم وأبنائها وقال ما معناه « مَنْ فرّق بين والدّة  
وولدها فرّق الله بينه وبين أحبّته يوم القيامة » .

ولهذا ، فإنّي أدعو أباك لقراءة رسالتك الموجهة هذه .. وأن  
يتفكر في معاني كلماتها الساذجة المعبرة عن حيرة طفلة  
لا ذنب لها فيما ينكره أبوها على أمها ولا في موقفه منها .

أما مطلبك الآخر في أن « أجد » لأمك رجلاً متديناً يتزوجها  
ويقبل بكما معها ويرعاكما كأبنائه الذين من صلبه .. فما  
أقسى أن يبحث الطفل الصغير عن البديل لأبيه الطبيعي ..  
وهو على قيد الحياة يحيا حياته في « بيت جميل » لكني  
أعدك بأن أبذل ما أملكه من جهد في هذا الشأن وأن أعرض  
على والدتك ما قد أتلّقاء لها من عروض ملائمة في هذا الشأن ،  
وأرجو منك أو من والدتك الاتصال ببريد الأهرام مساء الاثنين  
المقبل لإعطاء البيانات الكافية عنها لأن رسالتك خالية من هذه  
البيانات كما أنها خالية أيضاً من العنوان الذي يمكن الاتصال  
بكم فيه .. وشكراً لك .

## صادر للمؤلف

١	أصدقاء على الورق	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٦ (نفد)
٢	يوميات طالب بعثة	أدب رحلات	الطبعة الأولى ١٩٨٧ (نفد)
٣	هتاف المعذبين	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٨ (نفد)
٤	صديقي لا تأكل نفسك	مقالات وصور أدبية	ط.أولى ١٩٩٠ ط.الخامسة ٢٠٠١ (نفد)
٥	نهر الحياة	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٠ ط.الثالثة ١٩٩٦
٦	العصافير الخرساء	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩١ ط.الرابعة ١٩٩٨
٧	صديقي ما أعظمك	مقالات وصور أدبية	ط.أولى ١٩٩١ ط.الرابعة ١٩٩٨
٨	العيون الحمراء	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٢ ط.الخامسة ١٩٩٨
٩	افتح قلبك	مقالات وصور أدبية	ط.أولى ١٩٩٢ ط.الثالثة ١٩٩٨
١٠	اندهش يا صديقي	مقالات وصور أدبية	ط.أولى ١٩٩٢ ط.الخامسة ١٩٩٩
١١	أزواج وزوجات	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٣ ط.الرابعة ١٩٩٩
١٢	أرجوك لا تفهمنى	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٣ ط.الثالثة ١٩٩٨
١٣	رسائل محترقة	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٣ ط.الثالثة ١٩٩٨
١٤	وقت للسعادة .. ووقت للبكاء	مقالات وصور أدبية	ط.أولى ١٩٩٣ ط.الرابعة ٢٠٠٠
١٥	شركاء فى الحياة	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٣ ط.الرابعة ١٩٩٩
١٦	أماكن فى القلب	قصص إنسانية رومانسية	ط.الأولى ١٩٩٤ ط.الثانية ٢٠٠٠
١٧	لا تنسنى	قصص رومانسية	ط.أولى ١٩٩٥ ط.الثالثة ٢٠٠١
١٨	نهر الدموع	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٥ ط.الثالثة ٢٠٠١
١٩	أقنعة الحب السبعة	قصص إنسانية	ط.أولى ١٩٩٧ ط.الرابعة ١٩٩٩
٢٠	خاتم فى اصبع القلب	صور أدبية	ط.أولى ١٩٩٦ ط.الثالثة ١٩٩٩
٢١	وحدى مع الآخرين	مقالات	ط.أولى ١٩٩٦ ط.الثالثة ٢٠٠٠
٢٢	سلامتك من الآه	مقالات وصور أدبية	ط.أولى ١٩٩٧ ط.الثانية ١٩٩٨
٢٣	هو وهى والآخرين	قصص إنسانية	ط.الأولى ١٩٩٧ ط.الثانية ٢٠٠٠

٢٤	مكتوب على الجبين	قصص إنسانية	ط. الأولى ١٩٩٧ ط. الثانية ٢٠٠٠
٢٥	أوراق الليل	قصص إنسانية	ط. الأولى ١٩٩٧ ط. الثانية ٢٠٠٠
٢٦	طائر الأحزان	قصص إنسانية	ط. أولى ١٩٩٦ ط. الثالثة ٢٠٠١
٢٧	اعط الصباح فرصة	مقالات وصور أدبية	ط. الأولى ١٩٩٦ ط. الثانية ٢٠٠١
٢٨	الحب فوق البلاط	قصص قصيرة	ط. الأولى ١٩٩٧ ط. الثانية ٢٠٠٠
٢٩	سائح في دنيا الله	أدب رحلات	ط. أولى ١٩٩٧ ط. الثانية ١٩٩٨
٣٠	قالت الأيام	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٧
٣١	صور من حياتهم	قصص قصيرة	ط. أولى ١٩٩٨ ط. الثانية ١٩٩٨
٣٢	ساعات من العمر	مقالات وصور أدبية	ط. الأولى ١٩٩٨ ط. الثانية ٢٠٠٠
٣٣	أهلا مع السلامة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ١٩٩٨
٣٤	عاشوا في خيالي	مقالات وصور أدبية	ط. أولى ١٩٩٨ ط. الثالثة ٢٠٠٠
٣٥	قدمت أعذارى	خواطر وتأملات	ط. الأولى ١٩٩٩ ط. الثانية ٢٠٠١
٣٦	ترانيم الحب والعذاب	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ١٩٩٩
٣٧	الثمرة المرة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٩
٣٨	دموع القلب	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٩
٣٩	أيام السعادة والشقاء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٩٩
٤٠	أرجوك أعطني عمرك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى ٢٠٠٠
٤١	من المفكرة الزرقاء	صور ومقالات أدبية	الطبعة الأولى ٢٠٠٠
٤٢	حصاد الصبر	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠٠
٤٣	صوت من السماء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ٢٠٠١
٤٤	حكايات شارعنا	سيرة ذاتية	الطبعة الأولى ٢٠٠١

الترقيم الدولي  
977 - 08 - 1074 - 6

رقم الإيداع  
٢٠٠٢/١٥١٨٦